الجمهوريـــــــة الجزائريـــــــة الديمقراطيـــــــة الشعبيـــــــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الخطابة في صدر الإسلام - خطب أبي بكر الصديق أنموذجا-

دراســـــة فنيــــــة موضوعيــــــــــة

مذكــرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي مسار: أدب قديم

من إعداد الطالبة:

مسـايلي عبلـــــة

إشراف الأستاذ:

رابح بوشعشوعة

السنة الجامعية

1437-1436هـ

2016-2015م





شكر وعرفان

لا يسعنا بعد ختام هذا البحث، إلّا أن نشكر الله ونحمده حمدا كثيرا مباركا على توفيقنا في إنجاز هذا العمل.

ثمّ الشّكر الجزيل والثّناء الخالص والتّقدير إلى الأستاذ المشرف: رابح بوشعشوعة لما قدّمه لنا من جهد ووقت، فأشرف على كلّ خطوة قمنا بها لاستكمال هذا العمل.

إلى كلّ أساتذة كليّة الآداب واللّغة العربيّة بجامعة أم البواقي وأخصّ بالذّكر الأستاذة مواهب عياط، الأستاذ قادم سامي، الأستاذ لقمان شاكر، الأستاذ فاتح حمبلي.



إهداء

هي إذا الكلمات تحمل بين طياتها حروفا تتحدث عن أشخاصا لطالما
كان ضلهم سندا لنا في كل لحظة وحين، أبدأهم بالتي سهرت لننام، وبكت لنفرح
وساندت لننجح، أمي الحبيبة أدام الله بقاءها وأعطاها موفور الصحة
أهديها ثمرة جهدي .
إلى الذي ساند مشوار نجاحي فحمل القبس ليضيئه، وأحال الصعوبات
ليسهله حضنني وأنا طفلة، وفرح لرؤيتي وأنا أكبر وحين انقضى مشواري الدراسي
كان أول من زكاه، أبي العزيز أهديه قبسا من نور دربي
الذي زينه نور العلم .
إلى أختي الغالية ورفيقة دربي حفظها الله كريمة وأدامها رفيقة وصديقة وحبيبة .
إلى إخوتي: سلوى، صباح، عادل، حليم، مالك، حمزة، حفظهم الله.
إلى حبيبة قلبي رونق آية الرحمن أميمة
أهديكم حبا ينبض بين حروف هذا البحث
إلى شريك حياتي زوجي وعائلته الكريمة
إلى كل حبيباتي وصديقاتي ورفيقات دربي: سارة، أمينة، نادية، زينب، أحلام
أمال، جهينة، رشيدة، حنان، فضيلة، صليحة، وكل زميلاتي في مقاعد الدراسة.
إليك غاليتي وحبيبتي خديجة
إلى كل من نساهم قلمي وذكرهم قلبي
أهديكم بحثي المتواضع.


مقدمة

يعد عصر صدر الإسلام أهم العصور الأدبية التي شهد فيها النثر قفزة نوعية، حيث تبناه الإسلام للدفاع عن مبادئه وأفكاره، إذ يشكل فن الخطابة أنموذجا حيا لهذا التطور، فقد اعتمدها الرسول عليه الصلاة والسلام باعتباره أبلغ الخطباء كأداة للدعوة إلى الدين الجديد، وهكذا كان الخلفاء الراشدون ملزمين بإتباع خطى خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام، إذ عمدوا إلى هذا الفن للتعامل مع الرعية وللحفاظ على استقرار الأمة.

ورغم المجال الواسع الذي تتسم به الدراسات في ميدان الأدب، إلا أن هذه الدراسات كانت تهتم بالشعر دون النثر، وإذا ما تعلق الأمر بفن الخطابة فإننا نجد شبه تكرار في نوعية المواضيع التي اختصت بخطباء دون غيرهم، وليس غريب انكباب الباحثين على استبيان أسرار التعبير عند هؤلاء الخطباء، فبلاغتهم وفصاحتهم تدفق معرفي غزير المنفذ، حيث إن تنوع طريقة التعبير عندهم كانت سببا في بروز هذا الزخم الفني والبلاغي في متون الخطب.

وكوننا اخترنا أبرز الخطباء في هذا العصر، الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فإن ثراء خطبه التي استوفت كل أشكال الفصاحة والبلاغة مكنتنا من ضبط عنوان هذا البحث ليكون موسوما ب: **الخطابة في صدر الإسلام -خطب أبي بكر الصديق أنموذجا- دراسة فنية وموضوعية**، وتكمن أهمية الموضوع في الخروج من حيز دراسة الشعر وكذلك الحيز الذي تنحصر فيه جل الدراسات على خطب بعينها دون تجاوزها إلى غيرها، كخطب علي كرم الله وجهه على سبيل المثال، لنحدد منطلقا نحذوه خصصنا من خلاله خطبتين لهما نفس

الموضوع بدراسة فنية موضوعية، رغبة منا في استجلاء بلاغة الخطيب التي مكنته من التعبير عن موضوع واحد بالتنويع في أساليب صوغ الكلام.

ومن أهم أسباب اختيار الموضوع، رغبتنا في الولوج إلى أغوار هذه الشخصية ومعرفة طريقة تعاملها مع الأمور الدينية والدنيوية من منبر الكلمة، بالإضافة إلى تيقننا بضرورة الاهتمام بدراسة النصوص النثرية التي لا نقول عنها أنها بقيت خارج حيز البحث، وإنما هناك نقص في هذه الدراسات مقارنة بما هي عليه في مجال الشعر.

أما بالنسبة للدراسات السابقة لهذا الموضوع، فإنه لم يتيسر للطالبة الوقوف على الدراسات التي تناولته من الجانب الفني.

وعلى هذا الأساس فإن الإشكالية التي تبعث من خلال هذا الموضوع هي:

-هل تمكن الصديق رضي الله عنه من التحكم في آليات بعث النص الخطابي؟

ومن خلال هذا المنطلق يمكن تلخيص هذه الإشكالية في مجموعة تساؤلات فرعية ندرجها على النحو التالي:

- **هل يمكن أن نقول أن الخليفة الأول التزم في خطبه نظرية لكل مقام مقال؟**
- **إلى أي مدى تحكم الخطيب في أساليب صوغ الكلام؟**

وللإجابة عن هذه التساؤلات كان لابد من أن يخرج البحث في هيكل دقيق يستجيب لطبيعة الدراسة، إذ اعتمدنا فيه على الخطة التالية:

مقدمة ومدخل، فصلين وخاتمة، أما المدخل فقد خصصناه لضبط الجانب التنظيري، إذ تحدثنا فيه عن مفهوم فن الخطابة، وكذلك النشأة والتطور بالإضافة إلى دواعيها وعناصرها وأهدافها في عصر صدر الإسلام، كما انطوى المدخل على ترجمة لشخصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ليكون الفصلان عبارة عن دراسة فنية موضوعية، حيث اعتمدنا فيهما دراسة الخطبتين من جانبين، الجانب الموضوعي تطرقنا فيه إلى أبعاد الخطبتين النفسية والاجتماعية، الدينية والسياسية، لنتطرق من خلال الجانب الفني إلى بعض أبواب علم المعاني التي نذكر منها: التقديم والتأخير، الفصل والوصل...، وكذلك بعض أبواب علم البيان كالتشبيه والمجاز والكناية...، بالإضافة إلى بعض أبواب علم البديع كالسجع والاقتباس...، وقد اقتضت طبيعة الموضوع اعتماد المنهج الفني الموضوعي التحليلي، تتخلله بعض المقارنة، حيث اعتمدناه لكشف تنوع أساليب صوغ الكلام في متن الخطبتين، باعتبار أنهما تحاكيان نفس الموضوع، حيث تطلب متن هذا البحث مجموعة من المصادر والمراجع التي ساهمت في صياغته منذ أن كان فكرة إلى أن أصبح متنا، نذكر منها:

تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والانجازات السياسية لمحمد سهيل طقوس، خلافة أبي بكر في فكر ابن تيمية لأنور ماجد عشقي...، ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث كثافة المادة العلمية التي تخص الجانب التنظيري، لتعلقها بفن الخطابة التي حظيت بدراسات عديدة، بالإضافة إلى قلة الدراسات التي خصت الخطبتين اللتين تم اختيارهما من الجانب الفني، مما جعلنا نبذل جهدا فرديا لسبك أغوارهما الفنية، مع قلة البضاعة وضعف

الآلة لمواجهة هكذا موضوع، غير أن الحافز أن عون الله ميسور لمن طلبه، بالإضافة إلى عون ذوي العلم من الأساتذة النبلاء الذين نخصهم بالشكر، وعلى رأسهم الأستاذ المشرف **رابح بوشعشوعة** الذي كان نعم المرشد، حيث ذلل الصعوبات أمامنا للخوض في متن هذا البحث، فله منا جزيل الشكر والتقدير.

وفي الأخير لا ندعي الكمال لهذا البحث لأن الكمال لله عز وجل، وإنما حسبنا أننا اجتهدنا ولله الحمد.

مدخل

I – مفهوم الخطابة:

أ- لغة

ب- اصطلاحا

II – نشأة الخطابة:

1- العصر الجاهلي

2- عصر صدر الإسلام

III- دواعي الخطابة في عصر صدر الإسلام

IV- عناصر الخطبة :

1- الخطيب

2- الخطبة:

أ- المقدمة

ب- العرض

ج- الخاتمة

3- المتلقي

V – أنواع الخطبة في عصر صدر الإسلام:

1- الخطبة الدينية

2- الخطبة السياسية

3- الخطبة الاجتماعية

VI- أهداف الخطبة في عصر صدر الإسلام

VII- ترجمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

يعد الأدب سجل الحضارات الذي نتمكن من خلاله من قراءة عقلية الشعوب ونفسيتهم، والأدب قسمان شعر ونثر، أما الشعر فهو ذلك الأدب المكتوب بطريقة خاصة تعتمد خاصية الوزن والقافية، ليكون النثر أدبا يعتمد الأسلوب الأدبي دون عروض، وفي خضم هذا التنوع الفني " لم يكن الشاعر وحده هو الذي تهفو له النفوس وتسموا إليه الأعين عند عرب الجاهلية بل كان القاص يقوم أيضا مقاما هاما إلى جانب الشاعر في سمر الليل، بين مضارب الخيام لقبائل البدو المتنقلة وفي مجالس أهل القرى والحضر"[1]، وهذا يعد دليلا مقنعا على أن للشعر والنثر بكل فنونه أهمية في تاريخ الأدب، فكما أن للشاعر مكانته بين أهله فللقاص وللخطيب مكانة أيضا لا تقل أهمية عن سابقتها .

ولأن الخطابة فن من فنون النثر عرفته العرب منذ القدم، فهي كذلك تعد ميزة فيهم إذ كانوا يتباهون بالقول الفصيح المتحرر من القيود الفنية تماما كما لو كانوا ينظمون الشعر، ولمعرفة أهمية هذا الفن (الخطابة) في تاريخ الأدب العربي لا بد أولا أن نعرج على مفهومه اللغوي والاصطلاحي.

I – مفهوم الخطابة:

أ– لغة:

في لسان العرب لابن منظور في مادة "خ، ط، ب" نجد : خطب فلان فخطبه وأخطبه بمعنى: أجابه والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما

1– بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر عبد الحليم النجار، دار المعرفة، القاهرة، ط 04، دت، ص128.

يتخاطبان، خطب على المنبر خطبة بالضم، وخطبت المرأة خطبة بالكسر، واختطب فيها.[1]

أما في أساس البلاغة للزمخشري في مادة "خ، ط، ب" فنجد: خاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة... واختطب القول فلانا: دعوه إلى أن يخطب إليهم يقال: إختطبوه فما خطب إليهم ...[2]

نستنتج من خلال التعريف اللغوي أن مادة "خ، ط، ب" تتعلق بالكلام الذي يتضمن أمرا أو موقفا الهدف منه إبلاغ الآخرين حيث يعتمد أسلوب الإقناع والتأثير، وقد يختلف مدلول المادة حسب سياقها في الكلام كالقول: خطبة المرأة خطبة بالكسر، وهذا دليل الاقتران.

ب-اصطلاحا:

أما الخطابة اصطلاحا فهي" فن التعبير عن الأشياء بحيث إن السامعين يصغون إلى ما يقوله المتكلم في موقف رسمي مختلف عن المجالس المألوفة في الحياة اليومية، وهي تشد عادة الرابط بين أذهان السامعين وقلوبهم من جهة، والأفكار التي تتناهى إليهم من جهة أخرى وهذا يفرض على المتكلم أن يكون ذا ثقافة واسعة لتتوافق مع المحرضات النفسية

1- ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري)، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط 03، 2004 م مادة "خ، ط ، ب" مج 05، ص97 .
2- الزمخشري(أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري)،أساس البلاغة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط01، 1996 م، مادة "خ، ط، ب"، ص112.

والعقلية للجمهور"[1].

ومن هذا المنطلق نستشف من خلال التعريف الاصطلاحي أن الخطابة فن يعتمد الكلام البليغ السهل المشبع بأسلوب الحجة والإقناع، الذي يهدف إلى التأثير عن طريق الخطيب المتميز بفصاحة اللسان والثقافة الواسعة، والتي من خلالها يتمكن من ترغيب الناس في أمر ينفعهم وترهيبهم من أمر يضرهم في دينهم ودنياهم ولهذا قيل : " الخطابة فن القول بغية الإقناع والتأثير"[2]، ويشترط في نص الخطبة الوضوح والقوة والإجادة لشد ذهن السامعين وقلوبهم، وهذا ما يحقق غرض الإقناع والتأثير.

II – النشأة والتطور:

1-العصر الجاهلي:

كانت العصور الأدبية شاهدة على ازدهار فن الخطابة باعتبارها فنا عرف منذ العصر الجاهلي بالرغم من أن هناك من يؤكد عدم تدوينها، حيث إنه لا توجد نصوص تؤكد لنا تدوين الخطابة في الجاهلية " فليس بين أيدينا نصوص وثيقة من الخطابة الجاهلية، لما قلناه من بعد المسافة بين العصر الذي قيلت فيه وعصور تدوينها ..."[3]، إلا أن الوقائع تؤكد أن الخطيب كان يرتجل خطبة في مجالس الوفود وأثناء اجتماع أهالي القبيلة في مجلس

1- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط02، يناير1984م، ص103.

2- سالم المعوش، القواعد المعرفية الإسلامية في أدب صدر الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 1422 هـ، 2001 م، ص271.

3- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 24، د ت، ص410.

زعيمها، وذلك للتحفيز على خوض الحروب أو للدعوة إلى السلم وإصلاح ذات البين، وكذلك للمفاخرة بالأنساب الأحساب ومآثر القبيلة ومناقبها " فقد كان كل شيء عندهم يؤهل لهذا الازدهار إذ لم يكن ينقصهم شيء من الحرية وكثرت المنازعات والخصومات بينهم والدعوة إلى الحرب مرة وإلى السلم مرة أخرى"[1] ، فالخطابة كانت بمثابة اللسان الفصيح الذي يخاطب العقول كي يبعث في الأنفس الشجاعة والقوة لمواجهة كل ما تتعرض له القبيلة من ضغوطات خارجية تهدد استقرارها، فقد كان الخطيب الجاهلي ذو لسان فصيح، يجمع شذور اللغة ويتمتع بجزالة اللفظ وقوته التي تميل إلى الخشونة أحيانا، وذلك راجع لقوة النفس الجاهلية حيث كانت الكلمات صورة حية لنفوس قائليها، تحمل كل معاني السليقة والفصاحة والبديهة التي يتمتع بها الخطيب الجاهلي " وكل شيء للعرب فإنما هو بديعة وارتجال، وكأنه إلهام وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إحالة فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر ..." [2] ، وهذا بيان لأهمية الخطابة في ذلك العصر والدور الذي كان يلعبه الخطيب في شد النفوس وإلهام العزائم، ورغم أن المجتمع الجاهلي مجتمع أمي لا يعرف الكتابة لانعدام وسائلها في تلك الحقبة إلا أن ألسن الخطباء ظلت تردد نصوص الخطب، وهذا ما مكننا من الحصول على جزء قليل منها رغم بعد المسافة الزمنية التي قيلت فيها، ومن أشهر خطبائهم "قس بن ساعدة" الذي

1- المرجع السابق، ص 410.

2- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن محبوب الكناني)، البيان والتبيين، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 07، 1417 هـ، 1997 م، ج03، ص27.

يقول في مطالع خطبه التي ألقاها في عكاظ :

" أيها الناس، اسمعوا وعوا، وإذا سمعتم شيئا فانتفعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فان، وكل ما هو آت آت... "[1]، وهذا دليل على أن الخطابة الجاهلية موجودة رغم عدم تدوينها.

2-عصر صدر الإسلام:

كان مجرى التحول كبيرا بظهور الإسلام، حيث أثر في جميع مجالات الحياة السياسية، الاجتماعية، الثقافية و الفكرية، ولأن الحياة الفكرية تعتبر ناطقا رسميا باسم المجتمع فإن العقلية الأدبية كان لها السبق في رصد هذا التحول، لتبرز عدة فنون تجسد هذه الحركة الأدبية خاصة في مجال النثر الذي شهد تطورا بليغا في هذا العصر(عصر صدر الإسلام)، لتكون الخطابة من أهم هذه الفنون حيث لعبت دورا هاما إلى جانب الشعر في نشر تعاليم الدين الجديد" إذ اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم أداة للدعوة إلى الدين الحنيف"[2] باعتباره صلى الله عليه وسلم أول خطيب شهده صدر الإسلام، حيث كانت الخطابة منفذا لتوصيل تعاليم الدين إلى عامة الناس، ودعوتهم إليه باعتباره دين الحق" حيث ظل ثلاثة عشر عاما يعرض على قومه من قريش وكل من يلقاه في الأسواق آيات القرآن الكريم، وهو في ذلك يخطب في الناس داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ... "[3]،فقد كانت

1- سالم المعوش، القواعد المعرفية الإسلامية في أدب صدر الإسلام، ص 281.

2- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعرفة، القاهرة، ط 20، د ت،ج2، ص106.

3- المرجع نفسه، ص106.

الخطابة سلاحا للدعوة صاحبتها واستمرت معها إلى غاية خروج الرسول صلى الله عليه وسلم وهجرته ليرسم من خلالها خريطة لتشريعات الدين الحنيف، التي تملي عليهم حقوقهم ووجباتهم كمسلمين "وهو في تضاعيف ذلك يأخذهم بآداب رفيعة من السلوك السامي، مبينا لهم معاني الإسلام الروحانية التي تقوم على معرفة الله الواحد الأحد والصلة به "[1]، فقد كانت الخطبة في هذا العصر ذات طابع ديني تتجسد في خطب الجمعة وخطب الأعياد والمناسبات الدينية، حيث كانت خطب الرسول صلى الله عليه وسلم مستوحاة من القرآن الكريم ومتممة لتعاليمه وكمثال على ذلك خطبة حجة الوداع.

وقد قضت الخطابة في صدر الإسلام على عدة ألوان وموضوعات قديمة كانت الخطابة الجاهلية تعتد بها كالمفاخرة بالأحساب والقبائل، فالعلاقة بين الخطابة في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام علاقة أبوة، حيث إن المجتمع الجاهلي عرف الخطابة واعتمدها كفن من الفنون الأدبية الراقية، فكانت هناك نهضة خطابية تميزت بجزالة اللفظ وحسن السبك، خاضت في عدة أغراض تحاكي الواقع العام، كالمفاخرة والمنافرة، ليأتي الإسلام فيهذب تلك المفاهيم ويعطي طابعا آخر لفن الخطابة يتسم بالقداسة، حيث إنها حملت على عاتقها نشر تعاليم الدين الجديد لتكون في كل من العصر الجاهلي والعصر الإسلامي بمثابة وسيلة إعلامية إلا أن نطاقها كان أوسع في صدر الإسلام، وذلك بسب التغير الذي أحدثه الإسلام في المجتمع ، فظهرت معطيات وأفكار جديدة لم تكن لدى الجاهليين.

1-المرجع السابق، ص106.

اعتمد الرسول عليه الصلاة والسلام على الخطابة في محاوراته مع العامة، فإلى جانب خطب الأعياد والمناسبات الدينية كانت هناك خطب تجسد مواقف لا بد أن يزاح عنها الغبار، كخطب الحروب والخطب الاجتماعية...، وكان لابد للخلفاء أن يقتفوا أثره عليه الصلاة والسلام، وهنا ظهرت براعتهم ورجاحة عقلهم، وسليقتهم التي استوحت الكلمة الجزلة والفخمة من إعجاز القرآن الكريم وتعاليم السنة النبوية الشريفة.

كان لسان الخطيب آنذاك يحث على الدفاع على القضية الدينية والتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، ما دام الإسلام هو المبدأ الذي يحكم النفوس " وكم من خطيب وقف حينئذ يحض قومه على الثورة أو يحثهم على الطاعة "[1]، فهذه كانت المهمة السامية التي يجب على الخطيب أن يؤديها على أتم وجه.

وقد كانت ألفاظ الخطب في هذا العصر صافية سهلة يفهمها العام والخاص، تبتعد عن الخشونة حيث جاءت في قالب يتسم بالجزالة، وحسن السبك والصوغ تجسد مقولة لكل مقام مقال تتراوح بين الطول والقصر بما يناسب المقام، إلا أن الخطباء في هذا العصر كانوا يميلون للإيجاز تمسكا بأوامر الدين الذي يؤكد على إطالة الصلاة وقصر الخطبة، ذلك أن كثرة الكلام تنسي بعضه بعضا.

ولم تكن وظيفة الخطابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين تقتصر على الدعوة إلى الدين فقط، وإنما كانت كذلك تهدف إلى توضيح المبادئ التي يقوم عليها

1- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص 107 .

المجتمع الإسلامي، حيث كانت الخطبة منبرا تعلى فيه أحكام تنظيم العلاقات داخل المجتمع وداخل الأسرة الواحدة، كما أنها تحث على توطيد أواصر التكافل والتعاون بين الأفراد، كما كانت منبرا للشورى والحث على الجهاد في سبيل الله، وكذلك الدعوة إلى الوحدة، فولاة الأمر كانوا يبينون سياستهم التي يسوسون بها البلاد من خلال خطبهم في العامة.

ومجمل القول هو أن الخطابة في هذا العصر لعبت دور وسيلة إعلامية، ويتجسد ذلك في اهتمامها برسم صورة واضحة لحياة الأفراد داخل المجتمع.

III- دواعي الخطابة في عصر صدر الإسلام :

الأكيد أن الخطابة إلى جانب الشعر في صدر الإسلام كانت مفتاحا للدعوة، والمنبر الذي تساق فيه الألفاظ والتي بدورها تحاكي تعاليم الدين وتشريعاته " الأمر الذي جعل الخطابة تتهيأ لتأدية دور عظيم في المجتمع الجديد المتوثب للبناء والمتطلع للتغيير في كل شيء"[1]، فظهور هذا الدين الجديد خلق منهجا جديدا للمجتمع، يتسم بحب التغيير وفتح المجال أمام الحوار والمجادلة التي اقتلعت جذور العصبية وقضت على كثير من المفاهيم" فكانت الخطابة وجها من الوجوه التي تعتمد على هذه الأسس(العقل والمنطق) وتبتعد قدر المستطاع من لغة الشعب التي تبرز فيها العاطفة والخيال والأحاسيس..."[2]، فهي تخاطب العقول بلغة المنطق لترسم المنهج الصحيح الذي أقر به القرآن الكريم.

1- عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، ط03، 1984، ص118،117.

2- سالم المعوش، القواعد المعرفية الإسلامية في أدب صدر الإسلام، ص 283 .

ولا جرم أن الخطابة جاءت بدافع الحاجة، أي أن لها حاجة مكنتها من الارتقاء والاتسام بصفة القداسة، ويمكن أن تترجم هذه الحاجة بالقول أن الخطابة باعتبارها فنا نثريا قوليا سهلا بعيدا عن التعقيد لعبت دور وسيلة معرفية في عصر صدر الإسلام، هذا العصر الذي لاح عليه فجر التغيير احتاج لها كوسيلة للبناء والتعبير عن متطلبات جديدة، واكبت ظهور مجتمع جديد فبعد ظهور دين الإسلام توسعت رقعة انتشاره، بسبب عوامل كثيرة منها الخطابة التي كان لها دور فعال في التأثير في النفوس، لأنها أداة واضحة للكشف عن مضمون الدعوة بأداء لغوي سليم يتسم بالوضوح والسهولة " ولم تقف الخطابة الدينية في هذا العصر عند الجزيرة، فقد أخذت تحل مع المسلمين في كل بلاد فتحوها ..."[1]، ولم تكن هذه الخطب تلقى في الخارج فقط وإنما كانت تلقى أيضا داخل شبه الجزيرة، خاصة أمام الوفود التي كانت تفد إلى النبي عليه الصلاة والسلام" فكما شهد المجتمع الإسلامي الأول حركة باتجاه الخارج، شهد أخرى باتجاه الداخل تمثلت بالوفود المتقاطرة إلى مركز الدعوة..."[2]، حيث كانت هذه الحركة الداخلية توجب إلقاء الخطب من طرف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم والصحابة بغية كسب التأييد للدعوة ونشرها على أوسع نطاق.

بالإضافة إلى أن الدعوة احتاجت إلى حروب جهادية تؤكد تمسك المسلمين بدينهم، وذودهم عنه كحروب النبي صلى الله عليه وسلم، وحروب الردة في عهد الخلفاء الراشدين،

1- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص 109.

2-سالم المعوش، القواعد المعرفية الإسلامية في أدب صدر الإسلام، ص 284.

وهذا ما اقتضى وجود الخطابة للحث على الجهاد وبعث القوة في النفوس واستثارة حماستها، بالإضافة إلى أن الخطبة كانت مفتاحا للدعوة وجوهر الدين" ذلك أن الإسلام فرض أن تلقى في مواعيد ومناسبات ثابتة..."[1]، كصلاة الجمعة وخطبتي العيدين، وفي الحج وجل المناسبات الدينية.

كما أن تعدد الأحزاب الدينية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والتي كانت تستعرض أمور الدين والدنيا وذلك باستشهادها من القرآن والسنة، كان سببا في دفعها إلى الاعتماد على فن الخطابة كأداة لتعبير عن هذه القضية.

IV- عناصر الخطبة:

حدد الباحثون المهتمين بهذا الفن عناصر الخطبة بثلاث عناصر هي: الخطيب، الخطبة، المتلقي.

1- الخطيب(المرسل):

يعد الخطيب الركن الأساسي في الخطبة، حيث إنه عمادها ومنبعها الرئيسي، وللخطيب صفات لابد أن يتحلى بها أهمها :

أن لا يتصنع القول وأن يتجنب التصنع والتشدق " **و**أن يكون في جميع ألفاظه ومعانيه، جاريا على سجيته، غير مستكره لصنيعته ولا متكلفا ما ليس في وسعه..."[2]، وكذلك وجب

1- المرجع السابق، ص 284.

2- قدامة بن جعفر(أبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي)، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1400هـ،1980م، ص 105.

أن تكون ثقافته واسعة فيعتمد في حجته براهين يتقبلها المنطق والعقل، كما يجب أن يكون متميزا بجهارة الصوت ورباطة الجأش وحسن السيرة والهيئة " فلم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتبار العمامة، والاشتمال بالرداء واختصار المخصرة، والخطبة من القيام"[1] وذلك اقتداء بالسلف الصالح، كما وجب عليه أن يكون ملما بأساسيات اللغة فيعرف مواقع القول وأوقاته " فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة، فيقصر عن بلوغ الإرادة وألا يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز، فيتجاوز مقدار الحاجة..."[2]، فامتلاك براعة اللفظ وجزالة القول تمكنه من تحقيق المنفعة، كما يشترط في الخطيب أن يكون ذا خبرة في مجال الخطبة وذلك من خلال الممارسة.

2- الخطبة:

تتكون الخطبة من ثلاثة أركان رئيسية هي: المقدمة، العرض، الخاتمة

أ- المقدمة:

هي عبارة عن تمهيد للموضوع، يهدف من خلاله الخطيب إلى شد انتباه السامعين، وموضوع الخطبة هو الذي يحدد مقدمتها، فالخطب الدينية تبدأ بالبسملة والحمدلة والتذكير، في حين أن الخطب السياسية كثيرا ما يتحدث فيها مباشرة عن الموضوع، ويجب في المقدمة حسن الافتتاح مثلما افترض في الشعر حسن المطلع وهذا لجلب الانتباه، ومثال ذلك خطبة

1- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تع جمعة الحسين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 01، 1426هـ، 2005 م، ص 526 .

2- قدامة بن جعفر، نقد النثر، ص 90، 92.

علي كرم لله وجهه في الحث على الجهاد، والتي يقول في مطلعها بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى لله عليه وسلم:" فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة..."[1]، كما يجب أن تكون المقدمة قصيرة تحمل الفكرة الرئيسية للموضوع، وأن تحمل صفة التشويق والإيقاع حتى لا يمل السامعون.

ب- العرض:

العرض متن الخطبة ولبها فإذا كان من الممكن الاستغناء عن المقدمة فلا يمكن للخطيب أن يستغني على عرض الخطبة، لأنه يشمل القضية التي سيتحدث عنها أمام العامة، حيث يجب عليه أن يؤكد هذه القضية ببرهان معقول متين الأسس تتلقاه العقول بالقول، فإن كان ضعيفا واهيا رفضته.

كما يجب أن يحرص الخطيب في التأسيس لدعوة على حسن اختيار اللفظ " فإن الخطيب إذا تخير الألفاظ في خطبته وانتقاها في كلامه، جاءت خطبته من البهاء والرواء بما يستفز السامعين ويمتلك أسماعهم ويختلب قلوبهم..." [2]، فاللفظ البليغ الراقي يستميل القلوب ويشد الأنظار ويسهل المعنى، ويتطلب ذلك حضور البديهة والعلم الغزير والتمكن من أساليب

1-أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، ط 01، 1352هـ، 1923م، ج 01، ص 240.

2- معروف الرصافي، نفح الطيب في الخطابة والخطيب، دار الخلافة العلمية، ط 01، 1332هـ، 1917م، ص71.

القول وأفانينه وفي هذا يقول (ابن عبد ربه عن أفلاطون): "عقول الناس مدونة في أطراف أقلامهم, وظاهرة في حسن اختيارهم"[1]، فليس كل ذي بيان خطيب إلا من اتسم برباطة الجأش وبراعة المنطق وامتلاك الحجة التي تستدرج العقول إلى الإذعان والتسليم.

ولا بد للخطيب أن يحدد الهدف من خطبته، وذلك بإدراك ما يرمي إليه من وراء إلقائه لها فتحديد الهدف يمكن الخطيب من اختيار الموضوع الذي سيتحدث فيه، كما ينبغي أن يطلع المتلقي على هذا الهدف ويدعم رأيه بالأمثلة والشواهد من الكتاب والسنة وكتب الفقه...، فعدم تحديد الهدف يجعل الخطبة بمثابة درس عادي، وبالتالي هذا يعد سببا لغياب سمة التأثير والإقناع الذي يميز الخطابة.

ج- الخاتمة:

وهي آخر ما يلقيه الخطيب ويتلقاه المستمع، ويجب فيها حسن الانتهاء وحسن المقطع، فهي آخر ما يعلق بالنفوس، فإذا كانت حسنة انعكس ذلك الحسن على الخطبة، وإن كانت سيئة طبعها السوء، و لتكون الخاتمة حسنة وجب أن تكون واضحة وموجزة، تثير العاطفة، وكذلك وجب أن لا تخرج عن موضوع الخطبة وإطارها لأنها تهتم بتركيز معانيها واستمالة الناس نحوها.

1- ابن عبد ربه الأندلسي(أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي)، العقد الفريد، تح مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1404هـ، 1983م،ج 01، ص 05.

3- المتلقي:

يعتبر المتلقي المستقبل للخطبة والمستمع لها، ولذلك وجب على الخطيب أن يكون عالما بهذا المتلقي ومدركا لمستواه الثقافي كي يتمكن من تحضير خطبه وفق ما يطابق الحال، ومن الشروط التي يجب أن تتوفر في المتلقي أن يكون عاقلا بالغا يفهم ويقدر المعاني والموضوعات التي تندرج ضمن الخطب.

V- أنواع الخطابة في صدر الإسلام:

بعد ظهور دين الإسلام تعاظم دور الخطابة " ومعنى هذا أن الإسلام أخذ بيد الخطابة، فزاد من دواعيها وارتاد بها حقول جديدة لم تكن تعهدها في الجاهلية "[1]، هذا الاتساع في الميادين والموضوعات جعل الخطابة في عصر صدر الإسلام تتسم بالتنوع، وهذا لقدرتها على شرح الحقائق والإقناع بها، ويمكن حصر أنواع الخطابة في ما يلي :

1- الخطبة الدينية :

اتخذت الكثير من الخطب في صدر الإسلام طابعا دينيا لم يكن موجودا من قبل، حيث إنها اهتمت بشرح تعاليم الدين وذلك من خلال الاستجابة لما فرضه في مختلف ميادين الحياة " كخطب الدعوة إلى الإسلام وشرح عقائده, وخطب الوعظ والترغيب والترهيب..."[2]،

1- صلاح الدين الهادي، الأدب في عصر النبوة والراشدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 03، 1407 هـ، 1987 م، ص 169.

2- المرجع نفسه، ص 169.

بالإضافة إلى خطبة الجمعة والعيدين، فقد كانت الخطابة الدينية في صميمها تهدف إلى الذود عن الدين الحنيف تارة والعودة إليه وتوضيح معالمه وتشريعاته تارة أخرى " وهكذا كان النبي يفسر تعاليمه في المساجد، ويبسط الآراء والشرائع ويهاجم التيارات الفكرية القائمة على العادات والتقاليد البالية... "[1] وبهذا تكون الخطابة الدينية من أهم الخطب التي ظهرت في صدر الإسلام.

ب- الخطابة السياسية:

كان ظهور الخطابة الدينية سببا في ظهور الخطابة السياسية، ذلك أن الخطابة الدينية احتاجت إلى أخرى تساندها، خاصة وأن عصر الإسلام شهد صراع بسب الدين الجديد "ولابد فيه من خطابة سياسية تجمع شمل العرب في ظل النظام الجديد... "[2]، فالخطابة السياسية كانت تلقى في المناسبات التي تعنى بتسيير الرعية، كالتشاور في القضايا التي تهتم بأمور المسلمين في السلم والحرب، فكانت الخطب الحربية وخطب التوجه السياسي وكذلك خطب المناظرات والمشاورات في أمور الدين والدنيا، وخطب الاستخلاف والولاية وخطب الوفود، وبهذا كانت الخطب السياسية لا تنفصل عن الخطابة الدينية، حيث إن هذا الارتباط لعب دورا هاما في بناء المجتمع الإسلامي.

1- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الدب العربي الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ت، دط، ص 337.

2- المرجع نفسه، ص 337.

ج- الخطابة الاجتماعية:

احتلت الخطابة الاجتماعية مكانا مرموقا في صدر الإسلام، وذلك لدعمها للنظام الاجتماعي والاهتمام بالفرد باعتباره من مقاصد الشريعة، فقد كانت تلقى في المحافل العامة والتجمعات الشعبية للحديث عن قضية اجتماعية، فظهرت خطب الإملاك (النكاح)، والمخاصمات القضائية وإصلاح ذات البين، وكذا التهنئة والتأبين والتعزية، وهذا بالطبع لا يغني عن الجانب الديني باعتباره الأساس.

VI- أهداف الخطابة في صدر الإسلام :

كانت الخطابة في صدر الإسلام تسعى إلى تحقيق أهداف تتمكن من خلالها من إرسال قواعد مجتمع إسلامي ناجح ومن أهم هذه الأهداف:

الدعوة إلى الدين الجديد والطلب من الناس الدخول فيه وذلك لكسب التأييد للقضية وضمان استقرارها في النفوس، وهذا يحقق الدفاع عن الدين الجديد ودعم الدعوة ونبذ الفكر، كما أنها كانت تهدف إلى ضمان انتشار الإسلام على أوسع نطاق، وهذا ما دفع الخطباء إلى إلقاء الخطب مع كل فتوحات يقومون بها، وبعد إرساء المجتمع الإسلامي اهتمت بإصلاح شؤون الأمة السياسية والاجتماعية، فنظمت العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وحاربت الآفات التي تهدد استقرار المجتمع، فكانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر " فاحتلت الخطابة الاجتماعية الإسلامية مكانا مرموقا، ونهضت برسالتها في دعم النظام الاجتماعي

1- صلاح الدين الهادي، الأدب في عصر النبوة والراشدين، ص169.

الإسلامي القائم على العدل والمساواة بين المسلمين "[1]، كما أنها لم تغفل الاهتمام بالجانب الثقافي حيث إنها كانت تهدف إلى نشر حب العلم والتعلم من خلال الحث على التمعن في آيات القرآن الكريم والتزود من علوم السنة النبوية الشريفة، بالإضافة إلى الحث على التمسك بمبادئ الشريعة والاقتداء بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وذلك لضمان استقرار النفوس وبالتالي استقرار المجتمع الإسلامي .

IV- ترجمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه:

تعد سيرة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الأمور المتعارف عليها، كونها حظيت بدراسات عديدة مست جميع الجوانب، إلا أن رغبتنا في تضمينها متن بحثنا باعتبارها تخدم الموضوع، جعلتنا ندرجها على النحو التالي:

1- اسمه ونسبه:

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمر وبن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التميمي، ويلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في النسب في الجد السادس مرة بن كعب ويكنى بأبي بكر، وهي من البكر وهو الفتي من الإبل ... ولقب أبو بكر رضي الله عنه بألقاب عديدة تدل على سمو مكانته نكر منها: العتيق، الصديق، الصاحب، الأتقى ...

2- مولده وصفاته الخلقية:

لم يختلف العلماء في أنه ولد عام الفيل، وإنما اختلفوا في المدة التي كانت بعده، فبعضهم قال بثلاث سنين، وبعضهم يقول أنه ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وآخرون قالوا بسنين وأشهر ولم يحددوا عدد الأشهر، وقد نشأ الصديق رضي الله عنه في أسرة كريمة لها العز والكرامة في قومها.

أما صفاته الخلقية، فقد كان يوصف بالبياض في اللون، والنحافة في البدن ... وقد وصفه أصحاب السيرة من أفواه الرواة بالقول : "إن أبا بكر رضي الله عنه اتصف بأنه كان أبيض تخالطه صفرة، حسن القامة، نحيفا خفيف العارضين، أجنأ، لا يستمسك إزاره يسترخي عن حقويه، رقيقا معروق الوجه، غائر العينين، أقنى، حمش الساقين، ممحوص الفخذين، وكان ناتئ الجبهة، يخضب لحيته وشيبه بالحناء والكتم."

3- إسلامه:

كان إسلامه رضي الله عنه نتاج رحلة إيمانية طويلة في البحث عن الدين الحق، فقد كان بحكم عمله التجاري كثير الأسفار ولذلك اطلع على معظم الأديان إلى أن فاتحه النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة الله، فأسلم الصديق وعاهد الرسول على نصرته، وبذلك كان رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال الأحرار.

4- وفاته:

قالت عائشة رضي الله عنها: "أول ما بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج إلا صلاة..." وقد استمر مرضه خمسة عشر يوما، حتى جاء يوم الاثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشر للهجرة، وقبض رضي الله عنه وقد أوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس، وأن يدفن بجاني الرسول عليه الصلاة والسلام[1].

5- فصاحته وبلاغته:

تميز الصديق رضي الله عنه بعلمه الغزير، وسرعة حفظه إذ أنه كان يملك القدرة على المحاججة إذ يعرف بقدرته على إقناع المتلقي، والدليل على ذلك خطبه يوم وفاة النبي عليه الصلاة والسلام و كذا في حادثة السقيفة، وبحكم قرابته من النبي عليه الصلاة والسلام، باعتباره صديقه وصاحبه فقد تعلم من النبي الكريم جوامع الكلم، فكان كلامه " من أرجح ما قيل في موازين الكلام، سواء في ذلك موازين البلاغة أو موازين الخلق والحكمة، وله من جوامع الكلم أمثلة نادرة تدل الواحدة منها على ملكة صاحبها فيغني القليل منها عن الكثير..."[2]، فقد ملك الصديق رضي الله عنه من البيان والفصاحة ما يخرس الألسن.

1- ينظر:علي محمد محمد الصلابي، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق شخصيته وعصره، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 1423هـ، 2002م، ص395،29،18،17.

2-عباس محمود العقاد، العبقريات الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط01، ربيع الأول 1391هـ، ماي1971م، مج02، ص292.

الفصل الأول: دراسة موضوعية فنية

الدراسة الموضوعية :

الخطبة الأولى: خطبة أبي بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة.

I - دوافع الخطبة

II -أبعاد الخطبة:

1- البعد النفسي

2- البعد الاجتماعي

3- البعد الديني

4- البعد السياسي

الدراسة الفنية:

I - الألفاظ

II - التركيب :

أولا: التقديم والتأخير

ثانيا: الفصل والوصل

ثالثا: الأساليب الخبرية والإنشائية

رابعا: القصر

خامسا: الإطناب والمساواة

III- الصورة الفنية :

1- التشبيه

2-المجاز

3- الكناية

4- المحسنات اللفظية:

أ- السجع

ب- الاقتباس

5- المحسنات المعنوية:

أ- الطباق

ب- اللف والنشر

ج- الالتفات

الخطبة الأولى: خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة.

صعد المنبر، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

" إن الله بعث محمدا رسول الله إلى خلقه وشهيدا على أمته، ليعبدوا الله ويوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شفاعة، ولهم نافعة، وإنما هي من حجر منحوت وخشب منجور، ثم قرأ ﴿ **وَيَعبُدونَ مِن دونِ اللَّـهِ ما لا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَيَقولونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللَّـهِ** ﴾ [يونس/18] وقالوا :

" **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّـهِ زُلْفَى**" [الزمر/03] فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمان به، والمؤاساة له، والصبر معه، على شدة أذى قومهم لهم، وتكذيبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالف زار (من زرى عليه أي عابه على الشيء) عليهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم، وتشنف الناس لهم، وإجماع قومهم عليهم، فهم أول من عبد الله في الأرض، وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام، رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله، وجعل

إليكم هجرته وفيكم جلة (خيرة) أزواجه وأصحابه، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تفتاتون (من الفوت، والفعل فات والمعنى كل من أحدث دونك شيء فقد فاتك) بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور."[1]

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 62، 63.

I – دوافع الخطبة :

لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، واتفقوا أن يتولى الأمر(أمر الخلافة) بعد النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة، فأخرجوا سعدا إليهم وهو مريض، فلما اجتمعوا ولى ابنه أو بعض بني عمه مهمة نقل ما يقول ليسمعه الناس، وعندما خطب في الناس وولوه الأمر، أتى الخبر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– فأسرع إلى الصديق –رضي الله عنه– يخبره بما حدث، فمضيا مسرعين نحوهم، وفي الطريق التقيا بعبيدة بن الجراح –رضي الله عنه– فمشوا إليهم ثلاثتهم، فكان عمر–رضي الله عنه– قد زوى في نفسه قولا أراد أن يقوم به فيهم، لكن أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– منعه من الكلام وتحدث هو بدلا عنه فقال عمر – رضي الله عنه– : " فما شيء كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أو زاد عليه " [1].

1– المصدر السابق، ص 61، 62.

Ⅱ – أبعاد الخطبة :

يعد موضوع الخطبة الهيكل الذي تقوم على أساسه أركانها، حيث إن الخطيب يبذل جهدا في إعداده، مراعيا في ذلك توفره على كل جوانب المقصد الذي يرمي إليه فيتوخى فيه الدقة ليكون مرتبا على قضية واحدة واضحة المعالم بعيدة عن التعقيد، وذلك بغية شد ذهن المتلقي وصرفه نحو ما فيه صلاح ذاته وصلاح أمته، وفي سياق هذا العمل الجاد تصطبغ الخطبة بأبعاد نفسية، واجتماعية، ودينية، وسياسية، تكون نتيجة للتدفق المعرفي الواعي الذي يعتمده الخطيب في التأسيس لخطبته .

تجسد أول خطبة سياسية دينية لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– في حادثة السقيفة نموذجا حيا للخطابة الهادفة، التي تحمل بين أسطرها أبعادا تهدف لذود عن شتات الأمة الإسلامية، ودحض الفتن لتحقيق الاستقرار.

وقد اعتمدنا في دراستنا لهذه الخطبة تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء وفق مقتضى الحال حيث يمكن استجلاء هذه الأبعاد على النحو التالي:

1/ البعد النفسي :

عندما صعد أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – إلى المنبر، كان حازما وحاسما وثابت القول، وذلك لإيمانه بالمسؤولية التي أوكلها إليه النبي عليه الصلاة والسلام بعد وفاته، حيث إن حسه الإيماني دفعه إلى الذود عن شتات القوم وفتنتهم، فكان همه الوحيد الحفاظ على المنهج الذي شرعه الله عز وجل، وقد كان لأبي بكر –رضي الله عنه– السبق في إدراكه باعتباره ثاني اثنين إذ هما في الغار ورفيق الدعوة المحمدية .

هذا ما جعل خطبته تبرز في حلة مثقلة بتصدعات الحس الإيماني، فنجده يتسلل إلى نفسية الأنصار المضطربة فيستميلهم ويثير عواطفهم بأسلوب لبق لين، وذلك ليشغل فكرهم بقضية واحدة وهي دحض الفتن والحفاظ على المبدأ الصحيح، فذكر ما للمهاجرين من فضل وسبق في الإسلام "...فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول..."[1] مؤكدا على أنهم خاصة الله التي أنعم بها على نبيه الكريم، فأيدوه وآسوه، وصبروا على أذى قومهم، رغم قلة عددهم ووحشتهم، وهذه القرابة التي فرضها الانتماء العرقي والديني تعطيهم حق الخلافة من بعده "...ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم ..."[2]، ولم يغمر حق الأنصار وسبقهم في الدعوة فهم "...من لا ينكر فضلهم في الدين وسابقتهم العظيمة في الإسلام ..."[3]،

1– أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ص63 .

2– المصدر نفسه ، ص 63 .

3– المصدر نفسه ، ص 63.

فهذه الميزة إنما تعطيهم الحق في شيء واحد وهو الوزارة، وفي كل هذا قدرة عظيمة على إخماد العواطف الحاقدة على المهاجرين، وإرضاء نفوس الأنصار المتطلعة للخلافة، وذلك بحفظ حقوقهم والاعتراف بفضلهم، فنجد أبو بكر – رضي الله عنه– يرغب في تحويل نظرهم عما ليس لهم حق فيه (الخلافة) مراعيا في ذلك عواطفهم رافعا من مقامهم، جاعلا مرتبتهم الثانية بعد المهاجرين، حيث إنه عدل عن التصريح بكلمة حادة تزعزع صفوفهم فجمع بين العاطفة والعقل لاستدراجهم لإدراك الحقيقة، وهو في كل هذا يعتمد السياسة الراجحة ، و العقل الحكيم الذي من شأنه حفظ استقرار الأمة .

2/ البعد الاجتماعي:

كانت حادثة السقيفة مدرسة من مدارس الحوار الراقي، فقد تميز فيها خليفة رسول **الله صلى الله عليه وسلم** أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– بقدرة هائلة على إدارة الحوار داخل الجماعة المشدوهة من هول الواقعة (وفاة النبي صلى الله عليه وسلم)، فرغم أحقيته بالخلافة التي منحها له التشريع

من خلال "...إشارة النبي صلى الله عليه وسلم، إشارات ترتقي إلى مستوى التعيين بالنص..." [1] إلا أنه لم يكابر وكان همه الوحيد الحفاظ على استقرار الأمة واطمئنان النفوس وذلك بحفظ الحقوق

1– أنور ماجد عشقي، خلافة أبي بكر في فكر ابن تيمية السياسي، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط 01، 1419 هـ، 1998 م، ص 201.

وإملاء الواجبات من منبر الكلمة الطيبة، مدركا أن صلاح الأمة في صلاح النفوس فأي كلمة قد تجلب إليها الغلو، فنجده يوظف عدة أساليب للحوار فيظهر الحق تارة بذكره أن المهاجرين "...أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول..." [1]، وهم من آسوه وصبروا على أذى قومهم رغم وحشتهم وتشنف الناس لهم، ليملي الواجبات تارة أخرى من خلال إقراره لمبدأ الاحترام والتكافل، مؤكدا أن واجب الفرد ينتهي عند ظهور حق غيره فذكر أن المهاجرين هم"...أحق الناس بهذا الأمر..." [2](الخلافة) دون أن يغفل فضل الأنصار فهم"...من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام..." [3].

استطاع أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – أن يخنق بوادر الفتنة وأن يحقق العدالة الاجتماعية، فحفظ الأمة من الشتات وأرسى مبادئها وفق المنهج الصحيح وهو بهذا يعد مثلا حيا للخليفة العادل .

1- أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ص 63 .
2- المصدر نفسه ، ص 63 .
3- المصدر نفسه ، ص63.

3/ البعد الديني:

لا تخلو الخطبة في شقها السياسي من شق ديني يبرز في المطلع، حيث نجد خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– يستحضر الوقائع الأولى لظهور دين الإسلام، إذ عمد إلى التذكير بأن "الله بعث محمدا رسول الله إلى خلقه وشهيد على أمته" [1]، ولا تثريب أنه حامل الرسالة السماوية فلا حجة لمن كفر بعد هذا، وهو في ذلك يؤكد على الاتفاق في المبدأ (توحيد الله وعبادته) ويطمئن على استقرار الإيمان والتوحيد في الأنفس، خاصة بعد الفاجعة التي حلت بالمسلمين (وفاة النبي صلى الله عليه وسلم) ، حيث إنه من المهم أن يحضر في نفس كل مؤمن أن غياب النبي الكريم لا يعني توقف الرسالة الإلهية وزوالها، وإنما وجب الاستمساك بالعروة الوثقى، مستعرضا في ذلك حالة العرب الأولين الذين استمروا في عبادة الأصنام رغم أن الحق ظاهر أمامهم بظهور الإسلام، زاعمين أنها شفاعتهم عند الله وإنما الحق أنها " ...من حجر منحوت وخشب منجور..." [2].

ولعل الخطيب يهدف من خلال هذا القول إلى مقابلة صريحة بين الحق والباطل فنجده يؤكد أن الرسالة المحمدية إنما هي الحق وهذا ما وجب أن يستقر في النفوس، فأما من خرج

1- المصدر السابق، ص 62.

2- المصدر نفسه، ص 62.

عن ذلك فإنما هو الباطل بعينه، حيث يستند في قوله هذا إلى القرآن المعجز الذي عالج هذه القضية، وأوجد في تضاعيفه ما يقنع الأنفس بالمنطق المعجز، فاستشهد بآيتين الأولى تتمثل في قوله عز وجل : ﴿ **وَيَعبُدونَ مِن دونِ اللَّـهِ ما لا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَيَقولونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللَّـهِ**﴾ [يونس/18]، والثانية تتجسد في قوله تعالى: ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ [الزمر/03]، وقد ورد تفسير الآية الأولى في تفسير ابن كثير على النحو التالي: " ينكر الله تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ، ضانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله ، فأخبر تعالى أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئا، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبدا "[1]، ولعل سبب استدلال الصديق –رضي الله عنه– بهتين الآيتين هو إثبات أن الله عز وجل قد بين طريق الحق وهو في ذلك عز وجل ينكر على المشركين ما ذهبوا إليه، مخبرا أن آلهتهم لا تملك لهم ضرا ولا نفعا، حيث استعان –رضي الله عنه– بهذا البيان في تأسيسه لدعواه ولم يكتفي بآية واحدة وإنما أورد آية أخرى تخدم هذا التأسيس [الزمر/03][*]، والتي تؤكد زعم العرب الأولين في الأصنام التي كانوا يعبدونها، فزعمهم فيها النفع والشفاعة أعمى بصيرتهم عن الحق الذي جاء به

---

1 – ابن كثير (أبي الفراء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن محمد السلام، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط 02، 1406 هـ، 1999 م، مج 04، ص 256.

* قال تعالى: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى".

رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، وقد عمد (الخطيب) إلى الاستشهاد بهذه الآية ليزيد قضيته بيانا على بيان فيدحض الشكوك التي قد تتسلل إلى النفوس، وفي هذه المقابلة الصريحة التي من شأنها توجيه القلوب نحو الحق استمروا (العرب) في الإنكار "...فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ..."[1].

ويمكن القول أن الصديق–رضي الله عنه– تعمد استرجاع هذه الحقائق ليوظفها في وجهتين:

الأولى: تثبيت الإيمان واليقين في الأنفس.

و **الثانية** : بيان فضل المهاجرين على الأنصار وأحقيتهم في الخلافة كما ذكرنا هذا سابقا .

4/ البعد السياسي:

غب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ظهرت فجوة كبيرة في حياة المسلمين مست عدة جوانب من حياتهم، وأهم هذه الجوانب بالدرجة الأولى الجانب السياسي، ذلك أن استقرار الأمة متعلق بالاستقرار السياسي، فاجتمع الأنصار في السقيفة لغرض مهم يتجسد في اختيار خليفة يسوس الأمة بعد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وذلك راجع لشعورهم "بأنهم بحاجة ماسة إلى اختيار خليفة يتولى شؤون المدينة وأمر المسلمين، فمدينتهم مهددة

1– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص63.

بعد وفاة النبي من الأعراب ورجال القبائل بوصفها العاصمة الإسلامية" [1]، فكان شعور الاستحقاق (استحقاق الخلافة) يمتلك النفوس فلما بلغ الأمر أبا بكر الصديق – رضي الله عنه– هرع ورفيقيه (عمر بن الخطاب، وعبيدة بن الجراح، رضوان الله عليهما) ليسيطروا على الوضع بطريقة راجحة اعتمد فيها –رضي الله عنه– اللين والسياسة الدقيقة التي تهتم بصغائر الأمور، ودليل ذلك أنه منع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– من الكلام لمعرفته بشدته وغلظته، واليقين الذي لا خلاف فيه هو أن خلافة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه– لم تكن " أمرا سياسيا محضا "[2]، حيث إن النبي عليه الصلاة و السلام قد أشار إلى ذلك في عدة مواقف، هذه الإشارات جعلت الأمر يبدوا وكأنه تشريع من القرآن الكريم، مما دفع الأنصار إلى إدراك أن القضية شرعية فتراجعوا عما جاؤوا به .

إن رجاحة عقل الصديق – رضي الله عنه– و نظرته الثاقبة جعلته يؤسس لمجلس الشورى في الوقت الذي انصاعت فيه الأمة لمشاعر الحيرة، ففتح باب الشورى التي حصلت في جو يطبعه الهدوء والإحساس بالمسؤولية، حيث إن حساسية الموقف تقضي ذلك، والهدف الأساسي من مجلس الشورى هو اختيار خليفة بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام ورغم أن أسس اختيار الخليفة لم تكن واضحة المعالم، إلا أن الاقتداء بالرسول صلى الله

1– محمد سهيل طقوس، تاريخ الخلفاء الراشدين، الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفاس بيروت، لبنان، ط 02، 1432 هـ، 2011 م، ص 17.

2– أنور ماجد عشقي، خلافة أبي بكر في فكر ابن تيمية، ص 179.

عليه وسلم كان واضحا منذ الوهلة الأولى، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعتمد في تسييره للحياة الدينية والدنيوية على ما جاء في تضاعيف القرآن المعجز، الذي لم يغفل أي قضية من شأنها أن تبني أسس الأمة الإسلامية وفق المبدأ الصحيح و تؤصل التشريع الإسلامي فيها.

وقد اعتنى القرآن الكريم بهذه القضية (الشورى) ليخلق علاقة بين الأمة الإسلامية وقائدها (النبي عليه الصلاة والسلام)، فمن الواجب أن تكون بين الراعي والرعية أرض صالحة تستثمر فيها المبادئ الأولى التي تحكم الدولة، ولا ضير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستشير أصحابه، ومن ذلك استشارته لهم في قضية أسرى غزوة بد، وفي صلح الحديبية، وذلك عملا بما جاء في القرآن الكريم، حيث تضمنت آياته دعوة صريحة لوجوب الشورى، فقد وردت فيه سورة كاملة تحمل نفس الاسم[سورة الشورى/ رقم 26]، ومما جاء فيها قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [سورة الشورى/ رقم 38]، وتنفيذا لهذ ا التوجه حصل اجتماع السقيفة بأبعاده الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والروحية، حيث عمد الصديق – رضي الله عنه– إلى تعداد أفضال المهاجرين الأولين، وسبقهم في تأييد الدعوة دون أن يغمر حق الأنصار باعتبارهم أنصار النبي **صلى الله عليه وسلم** والفئة المؤيدة له بعد المهاجرين و لما " رأى أن الفرصة

سانحة لإقفال باب المناقشة، دعا المجتمعين إلى مبايعة عمر بن الخطاب أو عبيدة بن الجراح "[1]، ولكنهم أبوا ذلك لإدراكهم أنه الشخص المناسب لهذا الأمر، وبهذا انتهوا عن قناعة إلى ثنائية "...فنحن الأمراء و أنتم الوزراء..." [2].

إن تولي أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– أمر الخلافة، كان سببا في الحفاظ على استقرار الأمة، ومثالا حيا للاقتداء بالسنة النبوية النابعة من تعاليم القرآن الكريم والمتممة لما جاء فيه.

1– محمد سليم طقوس، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ص 22.

2–أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 63.

I - الألفاظ :

تعد اللغة ظاهرة إنسانية تميز الإنسان عن غيره ، حيث أنه يستعين بها للتعبير عن أفكاره بغية التواصل مع غيره، فهي وعاء الفكر والعلاقة بينهما علاقة تلازمية، حيث إن الأفكار الداخلية لا يمكنها أن تبرز للعالم الخارجي إلا بواسطة اللغة.

واللغة في تضاعيفها هي جملة من الألفاظ التي هي حصون للمعاني، إذ أن وظيفة اللغة تكاد تنحصر في الدلالة على المعاني من خلال الألفاظ.

أما اللغة عند الخطيب فلا تقف عند حد التحدث بها، بل تتعدى ذلك إلى تعلم علومها واستنباط أحكام وقواعد بناء تراكيب الجمل فيها، وهذا كله يعتمد على فهم قواعد اللغة العربية ولو بصفة مجملة دون التخصيص في فروعها، حيث إن الألفاظ تتمتع بدلالات كثيرة تمكن الخطيب من التعبير عن المعاني التي ينشدها، باعتبارها الوسيلة الدالة على مكنوناته، ولذا "ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا، وأمرا، ونهيا واستخبارا، وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة وبناء لفظة على لفظة"[1] ، فحسن السبك والصوغ يطبع في الكلام حسن المعنى ذلك أن بلوغ الغاية يكون باجتماع الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة فمتى اجتمعا كان الكلام حسنا غير معيب، كما هو الحال في خطبة خليفة رسول

1- عبد القاهر الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني) دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط05، 2004م، ص 4.

الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – إذ نجد تنوعا في الحقول الدلالية، ذلك إنه اعتمد على نسق من الألفاظ المتنوعة التي تخدم باجتماعها مع معانيها عدة دلالات يمكن استجلائها بالتمعن في مدلولها، ولموضوع الخطبة الدور الفعال في تنوع هذه الألفاظ حيث أن طبيعة الموضوع ساهمت في تمكين الخطيب من سبك المعاني وتحصينها وفق ما تقتضيه مكنوناته.

لقد كان الخطيب فطنا إلى أن الوصول إلى قرارة النفوس إنما يكون بحرصه على توظيف كل لفظة في السياق الصحيح، مراعيا في ذلك حسن ملائمتها للمقام من جهة، وحسن ملائمتها للمعاني وتناسقها مع جاراتها من جهة أخرى، وهذا ما أكسب الكلمة قوة أدت إلى التأثير في النفوس، فالمتأمل في نص الخطبة يجد أنها بشقها الديني لا تخلو من شق سياسي وهذا ما يتضح في قوله –رضي الله عنه– : "إن الله بعث محمدا رسول الله إلى خلقه وشهيد على أمته، ليعبدوا الله، ويوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شفاعة، ولهم نافعة، وإنما هي من حجر منحوت وخشب منجور..."[1]، إذ نستشف هنا أن الألفاظ جاءت متناسقة متواترة في المعاني بمنتهى الدقة، والدليل على ذلك أنها وفقت في نقل الوقائع الأولى التي صاحبت ظهور دين الإسلام، كما أنها وفقت في تصوير حالة المهاجرين الأولين كما يتضح ذلك من خلال قوله : "...فخص الله المهاجرين الأولين

1– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص63.

من قومه بتصديقه، والإيمان به، والمؤاساة له، والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم، وتكذيبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالف زار عليهم، فلم يستوحشوا القلة عددهم، وتشنق الناس لهم، وإجماع قومهم عليهم، فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله والرسول..."[1]، إذ يمكن القول أن الألفاظ في هذا المقطع من الخطبة اتسمت بالتنسيق والسهولة والوضوح، وقد زادها في التماسك توظيف الخطيب اللفظ في بيان المعنى بحسب ما يقتضيه المقام، فنجده في البدء يوظف الفعل (خص) ليدل به على المكانة الرفيعة التي منحها الله عز وجل للمهاجرين الأوليين، ثم يسند إليهم صفات (التصديق الإيمان، المؤاساة، الصبر)، ليدل على فضلهم وسبقهم في الإسلام، ثم استعمل ألفاظا تتسم بنوع من الخشونة ليصف الموقف الدقيق و الصعب الذي عاشه المهاجرون الأولون ويبرز ذلك في الألفاظ التالية: (يستوحشوا، تشنف، إجماع قومهم عليهم)، ثم ينتقل الخطيب إلى رسم صورة أخرى يستجلي بها القضية الخفية التي غابت عن الأذهان، وهي الخطأ الذي وقع فيه الأنصار حين طالبوا بالخلافة، ذلك أنهم بطلبهم هذا يغمطون حق من سبقهم (المهاجرين) فنجده -رضي الله عنه- يستعرض أحقية المهاجرين بذلك من خلال ألفاظ روحية اكتسبت من النظم قوة ويتجسد ذلك في الألفاظ التالية: (عبد الله، آمن بالله وبالرسول، أولياؤه، عشيرته، أحق الناس، لا ينازعهم إلا ظالم)، كما أننا وجب أن لا نغفل جانبا مهما في هذا الوضع، والذي يتمثل في توظيف الخطيب لألفاظ الآيتين الكريمتين اللتين استدل بهما على ما جاء

1- المصدر السابق، ص63.

في متن القضية، ويتضح ذلك جليا في قوله: "...وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شفاعة ولهم نافعة..." [1]، ولعل السبب في ذلك راجع إلى تأثر الخطيب بمعاني وألفاظ القرآن الكريم، ذلك أنها تملك من الصفة ما يعجز ويقنع المتلقي (الأنصار)، وقد أوجد الخطيب في كل ما جاء به أسلوبا بليغا استطاع من خلاله أن يألف بين الطابع الديني والتوجه السياسي دون أن يغمر حق الأنصار من جهة، إذ عدد أفضالهم في جملة من الألفاظ أبرزها : (لا ينكر فضلهم في الدين، سابقتهم العظيمة، رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله، جعل إليكم هجرته، فيكم جلة أزواجه وأصحابه)، ولم يهمل الجانب المهم في القضية من جهة أخرى، حيث إن الخطيب فتح المجال للحوار السياسي فأسس له بالكلمة الطيبة، فنجده يهدأ من روع الأنصار بألفاظ خنقت روح التعصب وأبرزها " فليس بعد المهاجرين الأولين بمنزلتكم، نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفتانون بمشورة، ولا تقضى دونكم الأمور"[1]، فإن المتأمل في لفظة (بمشورة) يتيقن أن الخطيب بهذا القول فتح مجلسا للشورى، وقد ساعده في ذلك توظيفه للألفاظ السهلة الواضحة المتسمة بالجزالة والقوة.

ومجمل القول هو أن الخليفة أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – تعمد في خطبته هذه الابتعاد عن اللفظ الغريب متجنبا أثار الصنعة اللفظية، وهو في ذلك يدرك أن المقام لا يسمح بأن يصطبغ اللفظ بهذه الصفات، فقد اجتنب أن يشغل فكر المتلقي(الأنصار)

1- المصدر السابق، ص63.

2- المصدر نفسه، ص 63.

بالتأويل في العبارات، وكان همه الوحيد هو صرفهم نحو القضية المهمة والتي تتمثل في الحفاظ منهج النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، والحفاظ على الأمة من الشتات، وقد حملت ألفاظه معاني هذه القضية النبيلة، حيث كانت سهلة واضحة حسنة المطلع، قوية السبك، تتميز بالجزالة والدقة وجودة النظم، لها من كل مقام مقال.

Ⅱ - التركيب :

إن مصطلح التركيب لا يشمل اللغة التي تستعمل في عملية التواصل العادي بين الأفراد في المجتمع، وإنما يتعدى ذلك إلى الأنماط اللغوية المشتملة على انحرافات، لتنتهي إلى مكون تركيبي يتجسد في: "ما ينجم عن التركيب النصي للألفاظ والمعاني في بعده التوزيعي من تجاوزات للأصول اللغوية، كالتقديم، والتأخير، والحذف، وما يتميز به التركيب من تشاكل وتناسب وتكرار..."[1]، ولا جرم أن مادة التركيب هي الأسلوب الذي يعد ميزة نوعية للجنس الأدبي " ولعل من أهم وظائف الأسلوب مساعدة الفكر في إحداث الأثر الذي يبتغيه بأفضل صورة ممكنة"[2]، فاللغة بمثابة ثوب للمعنى والأسلوب هو طراز هذا الثوب، فهو يسمح للأعمال الإبداعية أن تدخل إلى عالم الأدب وغالبا ما يقع وصف النقاد لغياب

1- سامي عبابنة، التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، جدار للكتاب العلمي، عمان، الأردن، ط01، 2007م، ص 117 .

2- نبيل راغب، موسوعة الإبداع الأدبي، الشركة المصرية لونجمان، القاهرة، ط01، 1996م، ص09.

الأسلوب الرفيع في العمل الأدبية "بالبلاغة الجوفاء والعبارات الإنشائية..."[1]، وهذا ما يجعل الأسلوب ضرورة حتمية في أي مجال من مجالات الإبداع الأدبي، وإن كان الخطيب يتوخى اختيار الألفاظ الرشيقة المتناسقة مع معانيها، فمن الواجب عليه –أيضا– أن يسعى إلى جعل تلك الألفاظ متراصة لتنتهي إلى سمة فنية تجسد عملا أدبيا يتلخص في فن الخطابة.

ومن الواضح المعلوم أن هذه الألفاظ والمعاني المتراصة لها من المزايا والخصائص ما نعرفه بمصطلح التركيب، الذي يوجب على الخطيب الاهتمام بالصياغة ،ذلك أن "حسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، وسوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية، فإن كان المعنى سبيا، ورصف الكلمات رديا لم يوجد له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة، وإذا كان المعنى وسطا، ورصف الكلام جيدا كان أحسن موقعا وأطيب مستمعا..."[2]، فأهمية اللفظ ورقيه متعلق بتناسق الألفاظ فيما بينها لتجسد باجتماعها مع المعاني المنتخبة تعابير بلغية .

والخطبة في بنيتها الفنية التي تتضمن مجموعة من الموضوعات وجب في صياغتها مراعاة إطار خاص لهذه الصياغة من حيث تلاؤم الأفكار وارتباطها ببعضها، ثم ارتباط كل فكرة بالفكرة التي قبلها، والفقرة بغيرها من الفقرات، وهكذا ارتباط كل موضوع بغيره

1- المصدر السابق، ص 08.

2- أبي هلال العسكري (أبي الهلال الحسين بن عبد الله بن سهيل العسكري) الصناعتين الكتابة والشعر، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2008م، ص 167.

من المواضيع السابقة له.

إن إتقان أسلوب الخطبة يجعل الخطيب يمتلك قدرة تأثيرية تصل إلى حد بث التغيير في النفوس، فهو يخلق إثارة العاطفة والشعور في نفس المتلقي، حيث إن اعتماده على الحجة الدامغة التي لا ضير فيها يخلق بينه وبين المتلقي واقعة وجدانية تساهم في نجاح الخطبة وتحقق أهدافها باعتبارها وسيلة بناء وتأصيل للشريعة الإسلامية.

لا تكتسب الألفاظ في متن الخطبة قيمة ما لم تجتمع في تركيب تنسجم فيه كل أجزاءها، فالنظم " ليس سوى تعليق الكلم ببعضها البعض، وجعلها بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث اسم، وفعل، وحرف، وللتعليق فيما بينهما طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بالفعل، وتعلق حرف بهما..."[1].

فنظم الكلام له قواعد وأسس يتعين على الخطيب مراعاتها، ليدرك أن التركيب ليس وضع للألفاظ أو المفردات، بل يجب أن يكون ترتيبها وفقا للمعنى.

والمهم في كل هذا هو التراكيب الواردة في نص الخطبة، إذ تجدر الإشادة إلى أن هذه الخطبة، تميزت بتراكيب متينة دقيقة، حيث جمعت بين صفتي الجمال في التعبير والدقة في أداء المعنى، والملاحظ على النص أن الخطيب اعتمد التراكيب البسيطة ذات العبارات الجزلة فنجد اتصالا بين الفقرات يتميز بصلة كل جزء بالذي قبله والذي يليه من جهة، ومن حيث تناسق أدوات الربط والاتصال من جهة أخرى.

1- عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 09.

ولأجل العناية بالجوانب التركيبية في متن الخطبة لا بد أن نستجلي ذلك في النقاط التالية:

أولا: التقديم والتأخير

يعد التقديم فن من فنون البلاغة، والخطيب الناجح يعمد إلى إرساء هذا الفن في متن خطبة، وقد ورد المعنى اللغوي لمادة " ق، د، م" في لسان العرب لابن منظور على النحو التالي: مقدمة كل شيء أوله، ومقدم كل شيء نقيض مؤخره.[1]

والتأخير من تأخر ضد القدم، تقول مضى قدما أي التقدم وهو ضد التأخر.[2]

نلاحظ من خلال التعريف اللغوي أن مادة "ق، د، م" تعني مرتبة الشيء الأولى أي أول الشيء في حين مادة " أ، خ، ر" من حيث مدلولها هي نقيض التقدم، وللمادتين مدلولات متفرقة تبرز من خلال سياق الكلام.

والتقديم والتأخير عند البلاغيين هو أحد الأساليب البلاغية التي تدل على الفصاحة والبلاغة والملكة في الكلام، وفيه يقول الجرجاني: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية..."[3]، فلا ينبغي للخطيب أن يغفل هذا الجانب الإبداعي في خطبته ولو بالوفرة القليلة، وهذا ما نلمسه في تضاعيف الخطبة، حيث إن الخطيب أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– لم يعمد إلى ضروب التقديم والتأخير إلا في موضع

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة" ق، د، م"، مج 12 ص 41.

2- المصدر نفسه، مادة " أ، خ، ر"، مج 04، ص11.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد محمود شاكر، ص 82.

واحد يبرز في مطلع الخطبة ويتجلى في قوله " ويزعمون أنها لهم عنده شفاعة، ولهم نافعة..."[1] ، فالمتأمل في الشق الأخير من هذا القول (لهم نافعة) يدرك أن الكلام جاء على غير مجراه حيث إن الخطيب قدم المسند إليه (لهم) على المسند (نافعة) وذلك لتقوية الحكم وتقريره، ذلك أن زعم أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن آلهتهم شفيعة لهم عند الله ونافعة لهم عنده لاشك فيه.

والملاحظ –أيضا– هو أن التقديم والتأخير فيه لم يرد بشكل عفوي، وإنما كان مقصودا لغرض بلاغي، فلو أوردنا الكلام على مجراه الأول فنقول: "يزعمون أنها لهم عنده شفاعة، ونافعة لهم"، لجاء هذا الزعم عاديا، فلم يرتق إلى حد التعصب الذي تميز به العرب الأولون لديانتهم(عبادة الأصنام) ،(فلهم) الأولى " أنها لهم عنده شفاعة "[2]تعود على الآلهة التي يعبدها المشركون، في حين أن (لهم) الثانية " ولهم نافعة "[3]تعود على المشركين في حد ذاتهم، وهذا ما جعل الحكم بالنفع يخصهم، فعمد الخطيب إلى التقديم في هذا الموضع ليؤكد أن هذا الحكم المزعوم إنما من شأنه أن يبسط في ذهن السامع فعل النفع والشفاعة، دون أن يتسلل إلى ذهنه نوع من الشك في ذلك، ثم ينتقل إلى تبديد معالم هذا اليقين بوصف هذه الآلهة بأنها من حجر منحوت وخشب منجور، وربما سبب نزوع الخطيب إلى هذا

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 62.
2- المصدر نفسه، ص62.
3- المصدر نفسه، ص 62.

التقديم والتأخير يكمن في رغبته تبين حقيقة واضحة للأعين وهي طريق الحق وطريق الباطل، والتي تجلت للملأ بطريقة بلاغية رائعة بلغت من الرقي جودة السبك وصحة في التركيب وصدقا في المرمى.

ثانيا: الفصل والوصل

يعد الفصل والوصل من فنون البلاغة التي تطبع الحسن في الكلام، وتبين حظ المتكلم من المعرفة، وذلك راجع لدقة مسلكها .

والفصل في اللغة قيل: " أن يفصل بين الحق والباطل، والفصل من الجسد موضع المفصل، وبين كل فصلتين وصل، والفصل الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما، يفصل فصلا فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل: أي قطعته فانقطع"[1] .

نستشف من التعريف اللغوي أن مادة "ف، ص، ل" إنما تعني الفارق بين الشيء وغيره من الأشياء، فهي الحد الفارق الذي يضع الاختلاف بينها.

أما الوصل فهو خلاف الفصل إذ ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة "و، ص، ل" على النحو التالي: "وصلت الشيء وصلا ووصلة، والوصل خلاف الفصل، وصل الشيء بالشيء يصله وصلا وصلة، واتصل الشيء بالشيء: لم ينقطع " [2]، والبيان هو أن الوصل خلاف الفصل فهو يجمع بين الشيئين فيخلق علاقة بينهما.

1-ابن منظور، لسان العرب، مادة " ف، ص، ل" ، مج11، ص144.
2- المصدر نفسه، مادة "و، ص، ل" ، مج 15، ص224.

ليكون الوصل عند البلاغين على سبيل التعريف ما ذكره القزويني بقوله: " الوصل عطف الجمل على بعض، والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع آخر على ما تقتضيه البلاغة..."[1]، وقد كثر الحديث عن الفصل والوصل في كتب البلاغة وذلك راجع لأهميتها البالغة في إضفاء الجودة على الكلام.

ونظرا لما تضفيه مواضع الفصل والوصل من جمال ودقة وجب على الخطيب أن يتفطن إلى هذا الجانب، والأكيد أن خطبة الصديق –رضي الله عنه– لم تخل من هذا الجانب الإبداعي، إذ أننا نلاحظ أن الفواصل جاءت متسقة ومختلفة الموضع، فضلا عن الدقة الواضحة في الاتصال وفق ما يقتضيه المقام.

ومن مواضع الفصل في متن الخطبة قوله: " إن الله بعث محمدا رسول الله إلى خلقه وشهيدا على أمته، ليعبدوا الله،..." كذلك قوله: "...فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه..."[2]، وقد تعمد الخطيب ترك العطف بالواو لأنه يكون عند الجمع بين شيئين وذلك لا يكون في المعاني إذا كان الغرض منها تبيان الحقائق والوقائع كما هو الحال في الأمثلة التي أوردناها سابقا.

أما مواضع الوصل فهي كثيرة، حيث إن الخطيب في البدء جمع بين العبادة والتوحيد

1- القزويني، (جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمان القزويني) ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط ، دت، ص 146.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 62.

في قوله: "...ليعبدوا الله ويوحدوه..."[1] ، ثم جمع بين الآلهة وزعم المنفعة والشفاعة ويتضح ذلك في قوله: "...وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أن لهم عنده شفاعة، ولهم نافعة..."[2] ، ثم يبن حقيقة هذه الآلهة بعطف جملة على أخرى، حيث لا يمكن الفصل بينهما.

كما أن الآية الأولى التي استشهد بها الخطيب لم تخل من مواطن الوصل، الذي يتضح من خلال قوله تعالى: ﴿**وَيَعبُدونَ مِن دونِ اللَّـهِ ما لا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَيَقولونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللَّـهِ**﴾ [يونس/18]، فنستشف أن هذه الآية الكريمة انطوت على مجموعة من الحقائق هي عبادة المشركين للآلهة لا تملك ضرا ولا نفعا، وكذلك زعم أنها تشفع لهم عند الله، وقد جاءت هذه الحقائق في جمل معطوفة على بعضها وذلك راجع لارتباط هذه الحقائق ببعضها البعض إذ لا يمكن الفصل بينها، بالإضافة إلى مواضع أخرى "...والإيمان به والمؤاساة له...، وتكذيبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالف زار عليهم...، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلكم في الدين ولا سابقتكم العظيمة في الإسلام..." [3] ، وهنا جمع الخطيب بين الصورة والمعنى، وقد استرسل في الوصل لغرض الإيضاح وبيان المراد، فالجملة المعطوفة على نظيرتها لا يمكن الفصل بينهما وهذا كمال الاتصال وبراعة السبك.

1- المصدر السابق، ص 62.

2- المصدر نفسه، ص62.

3- المصدر نفسه، ص63.

ثالثا: الأساليب ا لخبرية والإنشائية

يعد الأسلوب الفارق الجوهري بين اللغة العادية واللغة الإبداعية، حيث إن قوته في الخطبة تتجسد في قدرة الخطيب على التنويع في بنيته، باعتماده على مفردات ترتبط بعضها ببعض، فهذا النسق المتسلسل من العبارات يوجب التنويع في الأساليب التي تبنى من اجتماعها الخطبة.

وبغية استجلاء بلاغة الخطيب أبو بكر الصديق –رضي الله عنه – وجب تحديد بنية الأساليب التي اعتمدها في تأسيس خطبته، والتي عموما يطغى عليها الأسلوب الخبري مع خط قليل للأسلوب الإنشائي وذلك وفقا لمقتضى الحال.

أ- الأساليب ا لخبرية:

يوجه الصديق – رضي الله عنه – الخبر الذي أورده في مطلع الخطبة والذي يتجسد في قوله: "إن الله بعث محمدا رسول الله إلى خلقه وشهيد على أمته، ليعبدوا الله ويوحدوه..." [1] إلى الأنصار الذين وقعوا في الشك بعد الفاجعة التي حلت بالمسلمين (وفاة النبي صلى الله عليه وسلم) فهم في حاجة ماسة للتأكد من أن من يأتي بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام، سيسير على منهجه والدليل على ذلك مبادرتهم لمبايعة سعد بن عبادة وذلك لحفظ منهجهم وحقوقهم وهو بهذا ينقل الخبر إلى متلقي متردد في الحكم بحاجة إلى بلوغ اليقين، وقد

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 62.

اعتمد في تأكيد هذا الخبر الطلبي على مؤكدين الأول أداة التوكيد (أن) والثاني (اللام) التي أردفها لفعل العبادة " ليعبدوا الله ويوحدوه"[1] ، وقد ازداد التوكيد قوة، حيث إن دخول اللام على الفعل (يعبدوا) تأكد على ما تضمنته الرسالة السماوية من توحيد وطاعة، وتحقيق هذا الغرض من التوكيد يعطي للجملة قيمتها البلاغية.

أضاف الخطيب إلى جانب الخبر الأول خبرا آخر مؤكد بالضمير المنفصل (هم) ليبين حال العرب الذين جاءتهم الرسالة النبوية، فهم معرضون يعبدون غير الله ولهم آلهة شتى، وقد أورد الخطيب الخبر على هذا النحو ليفصل بين الخبر والصفة، فالفعل(ليعبدوا) إنما هو خبر مؤكد يقتضي فعل العبادة في حين أن (يعبدون) التي سبقها الضمير المنفصل (هم) إنما هي صفة العبادة، وعلى هذا الأساس فإن الضمير المنفصل (هم) يفيد ضربا من التأكيد على حال العرب المنكرين للرسالة الإلهية وهو الحال في الخبر الذي جاء بعد هذا والذي يتجسد في قوله: "ويزعمون أنها لهم عندهم شفاعة، ولهم نافعة..."[2] ، غير أن الشأن هنا يجمع ضميرين الأول جاء مردفا لأداة التوكيد (أن) ويتمثل في الضمير المتصل (الهاء) والتي تعود على الآلهة، والثاني يتصل ب (اللام) وهو الضمير المنفصل (هم)، فالضمير المتصل (الهاء) جاء ليؤكد على فعل الزعم بأن الآلهة هي اليقين، والضمير المنفصل(هم) في الشق الأول جاء ليؤكد على فعل الشفاعة، وفي الشق الثاني جاء ليؤكد على صفة النفع.

1- المصدر السابق، ص62.

2-المصدر نفسه، ص63.

والخطيب في هذا الموضع يؤكد الخبر بعدة أدوات (هم، أن، اللام) ذلك أن المتلقي منكر لحكم الخبر، يعني أن المشركين الذين جاءتهم رسالة الحق إنما هم مذكورون لما جاءت به هذه الرسالة وهذا يعد ضربا من ضروب الخبر الإنكاري، ثم ينتقل في موضع آخر للتأكيد على هذا الخبر الإنكاري الذي يستوجب التوكيد وذلك بسبب قوة الإنكار التي طبعت نفوس المشركين في قوله:"...وإنما هي من حجر منحوت وخشب منجور..." ①، فقد وظف أداة التوكيد (إن) مع (ما) الزائدة مصاحبة للضمير المنفصل (هي) الذي يعود على الآلهة وأداة التوكيد (من) التي تدل على عموم الخبر على الآلهة فهي كلها من حجر منحوت وخشب منجور.

وكل هذا إنما هو لازم لفائدة الخبر، فالخطيب يدرك أن الأنصار بحاجة لمعرفة أنه يدرك كل تلك الحقائق، وهذا ما دفعه إلى عرضها متواترة ليدفع شكهم باليقين وهذا ما يعرف في البلاغة بلازم الفائدة.

لم يكتف الخطيب بما جاء به من مؤكدات للخبر، فاقتبس من القرآن الكريم آيتين لتقوية ما أورده من خبر، حيث إن الآية الأولى والمتمثلة في قوله عز وجل: ﴿**وَيَعبُدونَ مِن دونِ اللَّـهِ ما لا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَيَقولونَ هـؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللَّـهِ**﴾[يونس/18] تضمنت خبر العبادة للأصنام التي لا تملك ضرا ولا نفعا، وهي في نظرهم(المشركون) شفيعتهم عند الله عز وجل فجاء الخبر مؤكدا بالضمير المنفصل (هؤلاء) الذي يؤكد صفة الشفاعة لآلهتهم

1- المصدر السابق، ص62.

المزعومة، وقد فصل هذا الضمير المنفصل بين الخبر والصفة تأكيد أن صفة الشفاعة إنما هي منعدمة في هذه الآلهة، فالمخاطب هنا ينكر بقوة الخبر أي أن المشركين ينكرون أن هذه الآلهة لا تشفع لهم عند الله، فأنزل الله عز وجل غير المنكر(المشركين) منزلة المنكر في هذا المقام لظهور علامات تدل على إنكاره، ذلك أن المشركين يقرون بوجود الله عز وجل وعبادته و إنما هذه العبادة منوطة بوسائط (آلهة) تشفع لهم عنده، والخبر هنا إنما ألقي لإظهار ضعف هذه الآلهة التي لا تملك الضر والنفع حتى لنفسها، وفي الوقت نفسه هو فائدة لمن يدعي أن لها من النفع والضر ما يستوجب أن تكون شفيعة عند الله.

في الجزء الثاني من الخطبة قام بتبيان فضل المهاجرين الأولين عن غيرهم، مع العلم أن الحكم ليس فيه تردد ولا يمكن إنكاره، إلا أن الأنصار كانوا يعتقدون أنهم يمكنهم المشاركة في الحكم وذلك طمعا في شرف الخلافة باعتبارها مرتبطة بالنبي عليه الصلاة والسلام.

وقد تعمد الخطيب أن يبين لهم أن المهاجرين هم خاصة الله لنبيه الكريم، فهم من صدقوه وآمنوا به، وآسوه...، وهو في موقف عرض فضل المهاجرين أورد الخبر مؤكدا بالجمل الاسمية وذلك لما تحمله من قوة لتأكيد المعنى، وقد جرى الإسناد في هذه الجمل إلى الضمير المنفصل (هم) الذي يعود على (المهاجرين) في عدة مواضع كنحو قوله:

"...فهم أول من عبد الله في الأرض، وآمن بالله وبالرسول..."[1]، وفي هذا المقام عمد الخطيب إلى تأكد أن هذه الخاصة (المهاجرين) إنما هي أول من عبد الله في الأرض، وهي كذلك أول من آمن بالله وبالرسول، حيث إن التقدير يكون على النحو التالي: " فالمهاجرون أول من عبد الله في الأرض، وآمن بالله وبالرسول" وقد جرى في هذا الموضع تقديم الفاعل (الضمير المنفصل هم الذي يعود على المهاجرين) على فعل العبادة والإيمان، حيث بني جل الكلام على هذا الضمير، وكل هذا الخبر من الجانب البلاغي لازما للفائدة، ذلك أن الطرفين (المخاطب، المتلقي) على دراية بكل هذه الحقائق.

ويستمر الخطيب في تأكيد الخبر بالجمل الاسمية (خبر فضل المهاجرين عن غيرهم)، ومن مواطن هذا التأكيد قوله: "...وهم أولياؤه وعشيرته..."[2]، فالخطيب في هذا الموضع إنما يهدف لتأكيد صفة القرابة التي تجمع المهاجرين بالنبي عليه الصلاة والسلام، وهي قبل أن تكون قرابة انتماء فهي قرابة دم، وقد تضمنت الجملة الاسمية ضمير منفصل(هم) يعود على (المهاجرين)، حيث إن التقدير كما يلي: "والمهاجرون أولياؤه وعشيرته"، وتقديم الضمير المنفصل (هم) عن صفة القرابة " ...أولياؤه وعشيرته... "[3]، إنما الغرض منه تأكيد هذه الصفة للمهاجرين وهذا ما جعل الخبر مؤكدا ولا شك فيه، وكل من الخطيب والمتلقي على

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 63.
2- المصدر نفسه، ص63.
3- المصدر نفسه، ص63.

دراية بذلك، وهذا ما يعرف في البلاغة العربية بفائدة الخبر.

وفي الجزء الأخير من الخطبة يواصل الخطيب إدراج الخبر مؤكدا بالجمل الاسمية، ذلك أن خبر فضل الأنصار عن غيرهم أمر محض لا يحتمل التكذيب، وهو هنا ينزل المتلقي (الأنصار) منزلة المتردد الشاك الذي مراده الوصول إلى اليقين، فعمد الخطيب إلى تأكيد هذا الخبر الطلبي بالجملة الاسمية التي انطوت هي الأخرى على ضمير منفصل بني عليه الكلام، ويتضح ذلك في قوله: "...وأنتم يا معشر الأنصار من لاينكر فضلهم في الدين، وسابقتهم العظيمة في الإسلام...[1] ، فقد قدم المخاطب (الخطيب) الضمير المنفصل "أنتم" بغرض تأكيد أن الأمر يتعلق بفئة الأنصار دون غيرهم، وهو بهذا يؤكد على عدم نكران فضل هذه الفئة، وذلك ليذهب الشك من عقولهم، ويؤكد لهم أن فضلهم في الإسلام معترف به وحقهم محفوظ.

ثم ينتقل في موضع آخر إلى اعتماد الجملة الاسمية كمؤكد وذلك في قوله: "...نحن الأمراء وأنتم الوزراء..."[2]، حيث إنه (الخطيب) ينزل غيره المنكر منزلة المنكر لظهور علامات تدل على إنكاره، والتي تتمثل في توثبهم للخلافة رغم علمهم بحق المهاجرين فيها قبلهم وقد تفطن الخطيب إلى وجوب تأكيد هذا الخبر الإنكاري، حيث عمد إلى تأكيده باستعمال الجمل الاسمية التي انطوت على ضميرين يعودان على المهاجرين والأنصار.

1- المصدر السابق، ص 63.

2- المصدر نفسه، ص 63.

أما الضميرين فيتمثلان في: الضميرين المنفصلين (نحن، أنتم)، حيث إن التقدير يكون كما يلي : "فالمهاجرون أمراء، والأنصار وزراء"، وبهذا يؤكد الخطيب منزلة كل من المهاجرين (أمراء) والأنصار (وزراء)، فهم(الأنصار) رغم إنكارهم يملكون أدلة لو أنهم تأملوا فيها لعدلوا عن رأيهم، وفي هذا الموضع يكون الخبر فائدة لهم وهو ما يعرف في البلاغة بفائدة الخبر.

ب- الأساليب الإنشائية:

يعد الإنشاء القسم ثاني من الكلام إلى جانب الخبر، فإذا كان الخبر يحتمل الصدق والكذب، فإن الإنشاء على عكس ذلك، إذ إنه "لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلوله لفظه قبل النطق به وجود خارجي "[1]، والإنشاء الطلبي نوعان :

1- إنشاء طلبي: "يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، لامتناع تحصيل الحاصل"[2]، وهذا النوع يتحقق بخمس صيغ: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني والنداء، ومن أنواعه -أيضا- "العرض والتحضيض"[3]، ولكن الصيغ الخمسة هي الأكثر شيوعا.

1- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص69.

2- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 135.

3- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص74.

2- إنشاء غير طلبي: وهو "مالا يستدعي مطلوبا "[1]، وصيغه كثيرة نذكر أشهرها:

صيغ المدح والذم، التعجب ، القسم، الرجاء، صيغ العقود...

والذي يهمنا في هذا القول إنما هو توفر الأسلوب الإنشائي بنوعيه في متن الخطبة، إذ نلاحظ أن هذا الأسلوب لم ينل الحظ الوافر من التوظيف في هذا المتن، حيث تجلى للعيان في موضع واحد من خلال الإنشاء الطلبي الذي يتضح جليا في قول الخطيب: "...وأنتم يا معشر الأنصار..."[2]، وقد تحقق بصيغة النداء من خلال أداة النداء (الياء)، والغاية منه لفت انتباه القريب (الأنصار) الذي أنزل منزلة البعيد وذلك لعلو شأنه ومرتبته، وقد تبين هذا من خلال ما خص به الخطيب الأنصار من منزلة رفيعة تأتي بعد منزلة المهاجرين (الأمراء، الوزراء)، فلم يخرج النداء عن معناه الحقيقي وإنما جاء وفق مقتضى الحال.

ومجمل القول في كل ما تقدم أن الصديق -رضي الله عنه- يملك من البلاغة ما جعله ينتقل من أسلوب الإخبار إلى الإنشاء ببراعة وهذا ما جعل الكلام يرتقي إلى مستوى ما جاء به في متن القضية التي شكلت موضوع الخطبة.

رابعا :القصر

يعد القصر من الأساليب البلاغية التي تجعل النصوص الأدبية تكتسب صفة القوة والجزالة، والقصر في اللغة هو: " الحبس والإلزام، والقصر أقصر عن الشيء إذ نزع عنه،

1- المرجع السابق، ص 71.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب،ص63.

والقصر كفك نفسك عن الأمر وكفها عن أن تطمع بها غرب طمع"[1].

يبين التعريف اللغوي لمادة " ق، ص، ر" أنها دلالة حبس الشيء والالتزام به أو الإقلاع عنه والمادة لها مدلولات حسب سياقها في الكلام.

أما اصطلاحا فهو" تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، أو إثبات الحكم لما يذكر في الكلام ونفيه عما عداه..."[2].

إن مدلول مادة "ق، ص، ر" من الجانب الاصطلاحي توضح أن المادة تتعلق بمعنى الحبس والإلزام، والعلاقة بين الحبس والإلزام إنما تكون بطريقة خاصة.

والقصر نوعان كما ورد في الإيضاح في علوم البلاغة: " قصر حقيقي وقصر غير حقيقي، ولكل واحد منهما ضربان: قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على على الموصوف، والمراد الصفة المعنوية* لا النعت"[3]، فالقصر الحقيقي هو أن يكون اختصاص المقصور بالمقصور عليه بحسب الواقع فلا يتعداه، أما القصر الغير الحقيقي

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة "ق، ص، ر"، مج 12، ص 116.

2- الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح يوسف الصملي، ص 165.

* يقول القزويني : ليس المراد بالصفة في باب القصر النعت النحوي، وإنما يراد بها ما يقابل الذات، أي الذي يقوم بغيره سواء دل عليه بالوصف كقولك: " عادل "،أو بغير الصف كالفعل كقولك: "ما عمر إلا يعدل"

3- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 122.

أو الإضافي فهو ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين"[1].

ولأسلوب القصر طرفان مقصور ومقصور عليه، وله طرق مختلفة هي:

النفي والاستفهام، القصر بالأداة إنما، القصر بالعطف، القصر بتقديم ما حقه التأخير.

يتجلى أسلوب القصر في خطبة الصديق – رضي الله عنه – في موضعين، أما الموضع الأول فيتضح في قوله: "...وإنما هي من حجر منحوت وخشب منجور..."[2]، فقد ورد القصر هنا بالأداة "إنما"، وبهذا يكون القصر متعلق بالعطف لأنه يفهم منه الإثبات ثم النفي (أي إثبات ألوهية الأصنام ونفعها وشفاعتها ثم نفي ذلك)، وهنا أراد الخطيب أن يخرج الآلهة (المقصور) من صفة العبودية والنفع والشفاعة، فجاء بالمقصور عليه (حجر، خشب) وهو مؤخر في الجملة وجوبا، ولعل الخطيب يهدف من خلال هذا القصر إلى تأكيد ما هو يقين، وهو أن هذه الآلهة لا تستحق العبادة فهي لا تملك ضرا ولا نفعا، لأنها في الحقيقة هي مجرد حجر وصخر منحوت، وقد استعمل قصر الصفة على موصوفها في هذا الموضع، حيث يعد قصرا حقيقيا ذلك أن هذه الآلهة فعلا هي منحوتة من الحجر والخشب، ويسمى هذا القصر في البلاغة قصر قلب لأن المشركين اعتقدوا عكس ذلك.

يتضح الموضوع الثاني لأسلوب القصر في الآية الكريمة، والتي تتجسد في قوله تعالى:

1- عبد العزيز عتيق، علم المعاني،ص152.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 62.

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّـهِ زُلْفَى﴾ [الزمر/03]، حيث ورد أسلوب القصر في الآية الكريمة بأداة النفي (ما) والاستثناء (إلا) إذ نستشف أن الله عز وجل قصر بهتين الأداتين صفة العبادة للآلهة (مقصور) على موصوف " التقريب إلى الله زلفى" (مقصور عليه) ذلك أن المشركين يقولون: إننا ما نعبد هذه الآلهة إلا من أجل أن تقربنا زلفى إلى الله، وتشفع لنا عنده، وتنفعنا، وبهذا يكون القصر في هذا الموضع قصرا إضافيا، ذلك أن صفة العبادة لم تقتصر على التقريب إلى الله وإنما تعدت ذلك إلى حد النفع والشفاعة.

إن غرض الخطيب من بلاغة أسلوب القصر، يكمن في رغبته إعلام المخاطب (الأنصار) بما هو غائب عن ذهنه، حيث أراد توضيح بعض المعالم التي من شأنها تبين فضل المهاجرين عن غيرهم، وهذا ما يعطيهم الحق في الخلافة، وقد جاء أسلوبه –رضي الله عنه– مستوفيا لكل أشكال البلاغة.

خامسا: ا لمساواة والإطناب

تعد المساواة والإطناب إلى جانب الإيجاز من الأساليب البلاغية التي لا يعدوها الخطيب البليغ، فإما أن يوجز في قوله، أو يسهب، أو يوازن بين اللفظ والمعنى على وفق ما تقتضيه الضرورة والمقام، وهذه الأساليب البلاغية يمكننا أن نتحدث عنها مجتمعة إلا أن البدء بالمساواة أفضل من حيث كونها المذهب الوسط بين الإيجاز والإطناب.

أ- المساواة:

المساواة من أرقى مستويات التعبير، حيث إنها طريق البلغاء لتبيان المقصد الذي يرمون إليه، والمراد بالمساواة " أن يكون اللفظ أصل المراد، لا ناقصا عنه بحذف أو غيره، ولا زائدا عليه بنحو تكرير، أو تتميم، أو اعتراض"[1].

والمساواة في الأصل هي المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب على حد تعبير (أبو هلال العسكري)، وقد أشار إليها بقوله: " كأن ألفاظه قوالب لمعانيه، أي لا يزيد بعضها على بعض "[2]، ولأن المساواة من المستويات الصعبة المنال فإن من يرتقي إليها يستحق صفة البليغ وذلك لجلال مقصدها وقوة تأثيرها.

ولا ريب أن الصديق – رضي الله عنه – لم تخل خطبته من مرمى البلاغة، فقد التزم المساواة وفق مقتضى الحال مراعيا في ذلك حال المخاطبين (الأنصار)، ومن مواضعها في متن الخطبة قوله –رضي الله عنه–: "إن الله بعث محمدا رسول الله إلى خلقه وشهيد على أمته..."[3]، حيث نلاحظ من خلال هذا القول أن المعاني جاءت على قدر الألفاظ ولم تخرج عنها وكذا هو حال اللفظ، فلو أننا أسقطنا لفظا منها لاختل المعنى، ولو زدنا لفظا لجاءت الزيادة بلا فائدة، وهذا ما جعل الجملة متناسقة ومترابطة، متساوية في اللفظ

1- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص180.
2- أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، ص 179.
3-أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 62.

والمعنى، ففعل البعث إنما هو متعلق بالله عز وجل دون غيره إذ ما تعلق بالنبي عليه الصلاة والسلام، فنجد الخطيب يؤكد أن هذه الرسالة إنما تختص بهذا الشخص الكريم (الرسول عليه الصلاة والسلام)، فهو من جهة رسول الله إلى الخلق، ومن جهة أخرى شهيد على الأمة فلا حجة لمن كفر بعد ذلك، وقد جاءت كل هذه المعاني في وعاء دقيق من الألفاظ لم تخرج عن مقتضاها، ولم تدل على غير ما هو مصرح به، وهذا ما جعلنا نطلق حكما مفاده أن الألفاظ جاءت كقوالب للمعاني لا يمكننا إسقاط أي منهما وإلا اختل المعنى، ذلك أن هذه الحقائق إنما هي مجردة لا شك فيها وهي مرتبطة بالله عز وجل والرسول عليه الصلاة والسلام.

وقد ارتقت المساواة في هذا المقام، حيث جمعت بين الألفاظ والمعاني في قالب متزن لا يعدوه الخلل، إلى درجة أن الألفاظ حملت بين ثناياها معان كثيرة، لكن ظروف المقام منعت الخطيب من التصريح بها.

ثم ينتقل الخطيب في موضع آخر إلى الحديث عن فحوى الرسالة السماوية ويلخص كل ذلك في جملة تملك من السبك والجزالة، والمساواة بين الألفاظ والمعاني ما جعلها تجمع حقائق تقتضيها الرسالة السماوية، منظمة وفقا للمنطق والعقل، ويتضح ذلك جليا في قوله: "...ليعبدوا الله ويوحدوه..."[1] ، فإذا ما عمدنا إلى تحليل الجملة لفظة لفظة، لاستجلاء خفاياها فإننا نجد أن الخطيب اختار ألفاظ ذات دلالات كلية شاملة متواضعة عليها في

1- المصدر السابق، ص 62.

الأذهان لتجتمع مع المعاني فتشكل جملة تحمل من المساواة بينهما ما جعلها تغني الخطيب عن التصريح بعدة حقائق، وذلك لقدرة العقل على إدراكها والتي سنشير إليها في هذا المقام بقولنا أن الفعل "ليعبدوا" هو ناتج قبل كل شيء عن فعل التصديق والإيمان بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو رسول الله، ثم إن هذا التصديق يؤدي إلى نطق الشهادة وبالتالي توحيد الله عز وجل، وقد اختار الخطيب أن يسبك قوله بجملة من الألفاظ تحمل بين ثناياها هذه الحقائق المنطقية المنظمة وفقا للعقل، وعدل عن التصريح مراعاة منه للمقام ومقتضى الحال الذين لا يسمحا له بذلك.

ثم ينتقل الخطيب إلى موضع آخر يستجلي من خلاله واقع العرب بعد مجيء الرسالة الإلهية، فيقول: " ...وهم يعبدون من دونه آلهة شتى..."[1] ، فالخطيب هنا يرسم لنا صورة عن حياة العرب الوثنية التي منعت بصيرتهم من إدراك الحق، فنجده يجمع المعنى في لفظ مساو له لا يخرج عنه، وهذا ما يدل عليه فعل العبادة هنا الذي خصه العرب بآلهة مزعومة، ثم ينتقل الخطيب إلى موضع آخر ارتقت فيه المساواة، فتداخلت الألفاظ والمعاني لتوصلنا إلى فحوى القول: " ...ويزعمون أنها لهم عنده شفاعة، ولهم نافعة... "[2] ، فنجد أن هذا الفحوى إنما هو اختزال الخطيب اعتقاد العرب في هذه الآلهة المزعومة، حيث إن المشركين كانوا يعتقدون أن هذه الأصنام التي يعبدونها تملك تفويضا من الله عز وجل بالشفع لهم

1- المصدر السابق، ص 62.

2- المصدر نفسه، ص 62.

ونفعهم عنده والأصل أنها معدومة من الحياة، فكيف لها أن تنفعهم وتشفع لهم؟

وقد حمل قوله هذا معاني الآيتين الكريمتين اللتين استشهدا بهما[يونس/18] [الزمر/03] * لبيان حجة ما جاء به، واللتان حملتا نفس القدرة من المساواة بين الألفاظ والمعاني، ثم ينتقل الخطيب إلى مقام آخر يجسد فيه الصورة المادية لهذه الآلهة ويتضح ذلك في قوله: " وإنما هي من حجر منحوت وخشب منجور "[1]، حيث عمد الخطيب في هذه المساواة إلى محاكاة طريقة العرب في صنع هذه الآلهة المزعومة، فنجده يعرض لنا صورة من المجسمات المصنوعة باليد من مادتين إما أن تكون حجرا نحت باليد، وإما أن تكون خشبا نجر بآلة خشبية، وهو بهذا يرمي إلى حقيقة هذه الآلهة التي لا تملك قدرة على صنع نفسها وبهذا نجد أن الخطيب عمد إلى تحصين معانيه بألفاظ جزلة، جمعت بينها المساواة فارتقت لدرجة حملت فيها قدرا كبيرا من المعاني، أغنت الخطيب عن التصريح بها مراعاة منه لحال المخاطبين وظروف المقام.

في الجزء الثاني من الخطبة يعمد الخطيب في موضع آخر إلى المساواة بين الألفاظ والمعاني ويتجسد ذلك في قوله: " فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم..."[2]،

---

* قال تعالى: "وَيَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَيَقولونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللَّهِ"[يونس/18]

قال تعالى: " مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى"[الزمر/03]

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص62.

2- المصدر نفسه، ص 63.

فنجد في هذا الوعاء الدقيق من الألفاظ جملة من المعاني التي حصنت بها فلم تخرج عن دلالاتها، فقد دلت الألفاظ على حقيقة مفادها أن العرب قدسوا ديانتهم إلى درجة أن تركها بات أمرا عظيما، فهي ديانة متوارثة عن الآباء تواضعت عليها الأنفس والعقول، فكيف لها أن تنزاح عن طاعتها وعبادتها بظهور دين جديد لم تعرفه العرب من قبل؟

وقد سمت المعاني في قوالب من الألفاظ جسدت الحقيقة الخفية التي اختصرت بها هذه المساواة بين الألفاظ والمعاني وقائع تاريخية صاحبت الدعوة الإسلامية.

ثم ينتقل الخطيب من هذه الصورة الحية إلى صورة أخرى تضاهيها حيوية ويتضح ذلك في قوله: " فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به، والمؤاساة له، والصبر معه على شدة أذى قومه..."[1]، إن هذه الصورة الحية تجسد لنا ضربا من المساواة التي جعلت الألفاظ متناسقة مع المعاني، بحيث تجمعها في حصن منيع يمنعها من الخروج عن دلالتها، فنجده -رضي الله عنه- يستعمل ألفاظ دقيقة لها نفس الدقة من المعاني، فبدأ القول بالفعل (خص) المصحوب بلفظ الجلالة والذي يدل على المرتبة الرفيعة التي تميز المهاجرين الأوليين حيث دلت لفظ (الأولين) على سمو المرتبة، باعتبارها أول المراتب ثم ينتقل إلى تفعيل دور هذه الفئة بالأقدمية في الإسلام، بحيث جاء بألفاظ لها من المعاني ما هو دقيق حيث اتسمت كل لفظة بمعنى خاص جعلت كلا منهما (اللفظ والمعنى) يحظى بقدر من المساواة، فلفظ (التصديق)حمل تحت طياته كل صور فعل التصديق، ليكون لفظ

1- المصدر السابق، ص63.

(الإيمان) كذلك لفظ يجمع كل دلائل الإيمان، ثم جاءت الألفاظ الأخرى متواترة كلفظة (لمؤاساة) التي جمعت بين طياتها كل معاني المساعدة وكذا الصبر الذي يجسد صورة من صور التمسك بالدين وقوة اليقين والثقة في النبي الكريم عليه الصلاة والسلام بحيث تقف من خلاله هذه الفئة (المهاجرين) في وجه كل أنواع الظلم والأذى بكل صوره، وقد اتسمت هذه المساواة بالقوة والجزالة حيث جاءت ألفاظ الجملة مرتبة وفقا للدلائل المنطقية رغم أن لكل منها معنى مستقل إلا أن كلا منها يكون نتيجة للآخر، ففعل التصديق يؤدي إلى الإيمان والمؤاساة والصبر...، وكل هذا إنما هو دليل على بلاغة الخطيب وحنكته التي رسمت المعاني في صورة واضحة دلت عليها الألفاظ وقد راع الخطيب المقام وهذا ما دفعه إلى عدم التصريح بكل ذلك.

ويستمر الخطيب في هذا الجزء من الخطبة في تعداد أفضال المهاجرين الأوليين، مستعملا في ذلك ألفاظ على نفس القدرة من المساواة، بحيث لعبت كل منهما دور الحصن المنيع للآخر فلم يخرج كلا منهما عن مقتضى الحال.

ثم ينتقل الخطيب في الجزء الأخير من الخطبة إلى الحديث على الفئة الثانية بعد المهاجرين الأوليين، وهي فئة (الأنصار)، وقد وظف في الحديث عن هذه الفئة نفس القدرة من المساواة بين الألفاظ والمعاني، وهذا ما نستجليه في قوله: " وأنتم يا معشر الأنصار

من لا ينكر فضلهم في الدين، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام..."[1]، فحين نستجلي خفايا هذه الجمل نجده يعمد إلى فعل التخصيص، وذلك من خلال الألفاظ التي تدل في معانيها على أن الخطيب يخص هذه الفئة دون غيرها بالحديث، حيث إن لفظ (معشر) تدل على هذه الفئة المخصوصة (الأنصار) التي ذكرها الخطيب ليبين الخصوصية التي تحظى بها دون غيرها، ثم ينتقل إلى طمأنة هذه الفئة على حقوقها فاستعمل ألفاظ متساوية مع المعاني وهذا ما تجسده لفظتي (فضلهم) و (سابقتهم) وقد جاءت المعاني متواترة متناسقة وفقا لترتيب الألفاظ.

وفي نفس المقام ينتقل الخطيب إلى الإسهاب في تعداد أفضال هذه الفئة، وقد تداخلت الألفاظ مع المعاني وشكلت باتحادها نمطا من الدلالات على وقائع حقيقية يشهد لها تاريخ الديانة الإسلامية ويتضح ذلك في قوله: " رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته وفيكم جلة أزواجه وأصحابه..."[2]، وقد جاءت المعاني في قالب بسيط من الألفاظ وفقا لما اقتضاه الحال والمقام.

في موضع آخر من نفس المقام، ينتقل الخطيب إلى تبيان مقصد حديثه وفحواه وقد سبكه في ألفاظه جزلة تساوت مع المعاني، وهذا ما يتضح في قوله:

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 63.
2- المصدر نفسه، ص 63.

"فليس بعد المهاجرين الأوليين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور"[1].

إن منزلة الأنصار في تاريخ دين الإسلام لا يمكن تجاهلها، وقد دلت ألفاظ الخطبة ومعانيها في هذا المقام على ذلك، بحيث نجد الخطيب يعمد إلى التذكير بهذه المكانة وتفعيلها وفقا لما فيه صلاح الأمة والأفراد، فنجده يضع نفسه مكان الحاكم العادل الذي يدري بمرمى الحقوق والواجبات وذلك من خلال لفظة (عندنا) التي تدل في ظاهرها على الجمع وفي باطنها ترمي إلى شخصه الكريم –رضي الله عنه– باعتباره أدرى الناس بحق كل فئة وواجبها فهو لن يغمط أي حق ولن يهمل أي واجب، ثم وظف لفظتي (أمراء، وزراء) التي تدل على المكانة السياسية للمهاجرين والأنصار، فباعتبارهم (المهاجرين) الفئة التي خص الله بها نبيه الكريم، فهذا يعطيهم حق الخلافة، وكون الأنصار هم الفئة الثانية التي اجتباها الله نصرة نبيه صلى الله عيه وسلم، فهذا يعطيهم حق الوزارة، وقد أكد هذا القول بتوظيفه للفظتي (لا تفتانون، لا تقضى) اللتان تحملان معان تخدم المعنى الأول، فالوزير الأول لا يمكن أن تقضى دونه أمور الدولة، وقد ارتقت المساواة في هذا المقام لتحمل كل هذه الخفايا التي أعطت الخطبة ضربا من القوة والجزالة والبلاغة رسمتها تناسق الألفاظ والمعاني في جمل قصيرة وفي نفس الوقت تتسم بالبلاغة.

1- المصدر السابق، ص63.

ب- الإطناب:

يعد الإطناب من الفنون البلاغية التي لا بد للمبدع أن يضمنها إنتاجه الأدبي، وذلك لما يحمله من دلالة واضحة تسهب في إعطاء التفاصيل للمعاني، والإطناب على حد وضع البلاغيين هو زيادة اللفظ على المعنى بغية التوضيح فالإطناب هو " أداء الكلام بأكثر من عبارته، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل "[1]، فالإطناب مزية التوضيح والتفصيل وتأكيد المعنى، فإذا أطنب المبدع أكسب التأييد والحجة.

يأتي الإطناب في الكلام لأغراض بلاغية عديدة نذكر منها: ذكر العام بعد الخاص، ذكر الخاص بعد العام، الإيضاح بعد الإبهام، التكرير لداع...

والذي يهمنا في هذا المقام إنما هو مواضع الإطناب في متن الخطبة حيث أنها لم تخل من مواطنه، فقد عمد الخطيب إلى ذلك رغبة منه في استجلاء الخفي، وبعث الطرف الغامض في القضية التي جاء بها(حق المهاجرين في الخلافة)، ولا ضير أن مثل هذه القضية يحتاج إلى إسهاب في القول، خاصة وأن الأمر يكاد يخرج عن السيطرة بعد أن توثب الأنصار للمطالبة بالحق في الخلافة، فكان الأمر أن يتقلد الصديق المنبر ويخاطب العقول بلين وسياسة راجحة، قلبت الموازين وجعلت التكافل ولذود عن شتات الأمة مرمى الجميع.

في مطلع الخطبة بدأ الخطيب الحديث عن قضية لا بد من ذكرها في المقام الذي هو فيه

1- أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، ص 179.

إذ نستشف من تأملنا في متنها أنه استرجع الوقائع الأولى التي صاحبت المسيرة المحمدية، وقد اعتمد الخطيب في هذا الموضع الإطناب رغبة منه في التأسيس للقضية التي شغلت ذهنه حق المهاجرين في الخلافة وكذا رغبة من في الإطناب على حال النفوس واستقرارها على المبدأ الصحيح (توحيد الله) خاصة بعد مصابها الجلل وقد جاءت الحقائق متواترة متناسقة فرغم اتسامها بنوع من المساواة بين الألفاظ والمعاني إلا أنها اتسمت كذلك بنوع من الإسهاب والتفصيل الذي جاء لغرض الإيضاح من جهة ولحاجة النفوس إلى التذكير بمبدأ التوحيد وإقناعهم بأحقية المهاجرين في الخلافة من جهة أخرى.

إن صفة الإسهاب في هذا المقام ليس من شأنها التطويل في القول دون غرض، وإنما من شأنها بيان المقصد وتأكيد المعنى الذي جاء به الخطيب، وهذه هي الفائدة التي تطبع القول.

يكمن غرض الخطيب من التذكير بأن الله عز وجل بعث محمد عليه الصلاة والسلام إلى كافة الخلق" ليعبدوا الله ويوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى..."[1] في التعميم، ذلك أنه يرمي إلى القول بأن هذه الرسالة هي إلى عامة خلق الله، ثم انتقل في موضع آخر إلى التخصيص حيث ذكر فئتين من عامة الخلق، خص الله عز وجل بهما نبيه الكريم، ورغم أنهما فئتان مخصوصتان إلا أن كلا منهما يتفاوت حسب الأقدمية في الدين، أما الفئة الأولى فوصفها بقوله أن الله خص نبيه بها لتصديقه والإيمان به والمؤاساة له والصبر معه،

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 62.

فكل هذه إنما هي ألفاظ تدل على معنى مستقل ليس فيه من الإسهاب شيء، وإنما الشأن هنا فتح المجال لتعداد أفضال هذه الفئة، فنجد الخطيب يعمد إلى تبيان مكانتها في المقام الأول من خلال توظيف الفعل (خص) إلى جانب لفظ الجلالة، حيث إن الغرض منه هو بيان أن الله اجتبى هذه الفئة دون غيرها من الخلق لتكون أول من ساند النبي عليه الصلاة والسلام، ثم انتقل الخطيب إلى ضرب من الإطناب بحيث لم يكتف بما جاء به، فقال إن هذه الفئة لم تستوحش لقلة عددها، وتشنف الناس لها، وإجماع قومها عليها، فهي أول من عبد الله وآمن بالرسول، وهي من أوليائه وعشيرته...، وكل هذا إنما تعداد لأفضال المهاجرين التي تعطيهم الحق في الخلافة.

ثم ينتقل في موضع آخر للحديث عن الفئة الثانية (الأنصار) وكان له من الإطناب ما جمع كل أفضال هذه الفئة، حيث خصها بنصرة النبي الكريم، وقد وظف للدلالة على هذه النصرة الفعل(رضي) مع لفظ الجلالة، والتي نستشف من خلالها أن الله عز وجل خص هذه الفئة برضاه أن تكون نصرة لدينه ونبيه عليه الصلاة والسلام، فهي من جعل الله هجرة نبيه إليها وجلة أزواجه وأصحابه فيها، فلا يمكن نكران فضلها وتجاهل مقامها.

وفي كل ما تقدم نلاحظ أن الخطيب عمد إلى ذكر الخاص بعد العام، أما الخاص فهو

مجسد في فئتين تتفاوتان فيما بينها بحسب الأقدمية في الإسلام، (المهاجرون أسبق من الأنصار) ليكون العام هو سائر الخلق الذي بعث الله عز وجل إليه النبي عليه الصلاة والسلام بالرسالة السماوية.

وقد خص الخطيب هاتين الفئتين- المهاجرين والأنصار - بالإسهاب في تعداد أفضالهم وربما يرجع ذلك إلى غرضين:

أولا: التنويه بفضل كل منهما عن سائر الخلق كونهما خاصة الله عز وجل لنبيه الكريم، حتى كأنهما ليس من جنس العامة.

ثانيا: رغبته في التنبيه وزيادة التنويه على أن الفئة الأولى (المهاجرين) لها من المزية ما يجعلها تملك الحق في الخلافة، رغم أن الفئة الثانية (الأنصار) لا تقل منزلة عن سابقتها، إلا أن الفضل والسبق دائما يعود إلى من خصه الله بتصديق الرسالة المحمدية أولا.

وخلاصة القول في كل ما تقدم هو أن بلاغة الصديق -رضي الله عنه- مكنته من إيصال المعاني إلى ذهن المتلقي (الأنصار)، بطريقة فريدة رغم خلوها من الإيجاز إلا أنها اختزلت بين الحق والباطل ما تجمعه المساواة من دقة وما يسهبه الإطناب من قول .

III-الصورة الفنية:

تعد الصورة الفنية * من الفنون التي يجب ألا يعدوها المبدع، حيث إنها تتميز بمكانة مهمة في النصوص الإبداعية، وذلك راجع لكونها تفضي نوعا من الطلاوة والحسن عليها.

وللصورة الفنية تعريفات تعددت بين القديم والحديث، حيث تناولها عديد النقاد والباحثين، وليس هذا ما يهمنا في هذا المقام، وإنما الأمر الذي لا بد من الإشارة إليه هو الدور الفعال الذي تلعبه الصورة الفنية في إثراء المعنى المقصود، فإنشاء الكلام إنما هو أمر متواضع عليه بين جميع الأفراد، لكن دخول هذا الكلام ميدان الأدب يرتبط بنوع من الأفراد (الأدباء) الذين يخلقون له طرقا وسبلا تمكنه من الولوج إلى عالم الأدب، وقد أشار الجاحظ إلى ذلك بقوله: " ... والمعاني مطرحة في الطريق يعرفها العربي، والعجمي، والبدوي، والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء...فإنما الشعر صياغة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[1]، فالعمل الأدبي إنما سبيله الصياغة وحسن التصوير الذي يضفي على المعاني ضربا من الخصوصية تجعلها

---

* الصورة الفنية في بعض الدراسات هي وسيلة ينقل بها الكاتب أفكاره ويصبغ بها خياله فيما يسوق من عبارات وجمل، لأن الأسلوب مجال ظهور شخصية الكاتب وفيه يتجلى طابعه الخاص به وفي دراسة أخرى يكمن مفهوم الصورة من خلال المنهج الجمالي الذي يرى أن الفن إدراك جمال الواقع.

1- الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1385هـ، 1965م، ج03، ص 131.

تحمل صفة الإبداع وهذا ما يجعل المبدع يتقصى الصور التي تعطيه هذه الدلالات، التي تطبع في النص الأدبي بعض الغموض، حيث يستجلى بالبحث في حيثياته، ذلك أن التصوير أدق من أن تؤتى المعاني على طبيعتها، فالصورة عبارة عن نسيج من الخيال يلجأ إليه المبدع ليكون عمله منفردا عن غيره.

ومن واجب الخطيب أن يبسط هذا الفن في خطبه، حيث إن الصورة الفنية تملك من الدلالة والخيال ما يجعلها عاملا مؤثرا يساعد المتلقي على إدراك المعاني المطروحة.

ولا شك أن مثل هذا الإبداع لم تخل خطبة الصديق –رضي الله عنه– منه، ولتقصي مواطنه بكل أشكالها في متن الخطبة، لا بد لنا من دراسة كل صورة فنية على حدة لتكون الدراسة على النحو التالي:

أولا: التشبيه

يعد التشبيه من الصور الفنية التي تملك قدرة هائلة على التأثير في النفوس، فهو " تشارك المشبه والمشبه به في صفة أو أكثر، وهي أوضح أو أظهر في المشبه به منهما في المشبه"[1]، فالتشبيه أو التمثيل هو ما وقع بين شيئين يجتمعان في صفة أو أكثر، بحيث تظهر هذه الصفة في المشبه به أكثر من المشبه، باعتبارهما طرفا التشبيه.

1–مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، 2002م، ص 85.

تكمن بلاغة التشبيه في قدرته على التقريب بين الصور المتشابهة في الأشياء، حيث يملك قدرة كبيرة على بعث الجمال في النص الأدبي.

يقوم التشبيه على أربعة أركان:" المشبه، والمشبه به، يسميان طرفا التشبيه، ثم أداة التشبيه، ووجه الشبه"[1]، حيث تعد هذه الأركان الهيكل الأساسي الذي تقوم عليه علاقة المشابهة، وتحذف أحد الأركان بحسب نوع التشبيه* .

رغم أن التشبيه من الأساليب البلاغية التي يعمد إليها الخطيب ليدعم القضية التي جاء بها ويؤكدها فيضفي عليها نوعا من التوضيح والجمال، إلا أن متن الخطبة التي بين أيدينا يخلو تماما من مواطن التشبيه بكل أنواعه، ولعل السبب في عدم توظيف الخطيب للتشبيه يرجع لمقتضى الحال والمقام، إذ أنه متفطن إلى وجوب استعمال كل أسلوب في مقامه، فإن كان المقام يستدعي توظيف الاستعارة فعل ذلك، وإن كلا يستدعي توظيف التشبيه عمد إلى ذلك مدركا أن لكل مقام مقال.

ثانيا: المجاز

يعد المجاز إلى جانب الحقيقة من طرق صوغ الكلام، حيث إن الألفاظ تتطور معانيها الأولى إلى معان جديدة، وهذا ما يطلق عليه المجاز.

1- المرجع السابق، ص 84.

* يقسم البلاغيون التشبيه باعتبار الأداة إلى مرسل ومؤكد، وباعتبار وجه الشبه إلى: تشبيبه التمثيل، تشبيه مفصل ومجمل، التشبيه القريب والبعيد، التشبيه الضمني والمقلوب.

والمجاز في حده يعني " كل كلمة أريد بها غيرها وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول"[1]، ذلك أن المجاز يختص بالكلمة المفردة التي توضع في غير موضعها للتوسع في التعبير بغية الإثارة الجمالية، باعتبار أن اللغة العربية لغة منفردة باشتقاق ألفاظها وتنوع دلالة هذه الألفاظ.

وقد تعددت الاتجاهات البلاغية التي خصت المجاز بالدراسة، فنجده عند كل البلاغيين ينحصر في: "استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي"[2]، ورغم تعدد تعريفات علماء البلاغة لمصطلح المجاز، إلا أنهم يلتقون في نقطة واحدة وهي أن المجاز هو وضع اللفظ في غير موضعه لعلاقة مع قرينة صارفة.

يقسم علماء البلاغة المجاز إلى قسمين: المجاز العقلي، والمجاز اللغوي الذي ينقسم بدوره إلى قسمين: المجاز المرسل، والاستعارة*.

1- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 214، نقلا عن محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة والبديع، والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ط 01،2003 م، ص185.

2- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، دط ، 1405هـ، 1985م، ص 136.

* المجاز العقلي، يكون في الإسناد، أي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له على الحقيقة (وضعه في غير موضعه).

المجاز اللغوي: يكون في نقل الألفاظ حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة، وينقسم إلى:

المجاز المرسل: تكون العلاقة فيه غير المشابهة، وسمي مرسلا لأن له علاقات شتى.

الاستعارة: وهي مجاز لغوي تكون العلاقة فيه المشابهة، وأشهرها باعتبار طرفا التشبيه الاستعارة المكنية، والاستعارة التصريحية.

وما يهمنا في كل ما سبق، هو أن خطبة الصديق –رضي الله عنه– لم يخل متنها من ضروب المجاز، والذي يتضح من خلال المجاز اللغوي المحقق بواسطة الاستعارة المكنية، التي تتضح في قوله: "...وهم أولياؤه وعشيرته..."[1] إذ نستشف من القول أن الخطيب يعمد إلى تشبيه المهاجرين بوالد النبي عليه الصلاة والسلام (عبد الله بن عبد المطلب) وعشيرته (قريش)، فحذف المشبه به(عبد الله بن عبد المطلب، قريش) وترك أحد لوازمه " أولياؤه وعشيرته " على سبيل الاستعارة المكنية، وكأنه –رضي الله عنه– يجعل من كل فرد من المهاجرين بمثابة ولي للنبي الكريم، وباجتماعهم فهم عشيرته، ليجمع بين قرابة الدم وقرابة الانتماء عن طريق التشخيص بواسطة هذه الاستعارة، حيث إن هذه القرابة التي تجمع بين الرسول عليه الصلاة والسلام والمهاجرين تجعلهم أول الناس من بعده، وكل هذا غايته البيان والتوضيح الذي مفاده أحقية المهاجرين في الخلافة.

ثالثا: ا لكناية

خلت خطبة الصديق –رضي الله عنه– من الصورة المعبرة القائمة على الكناية، ذلك أن الخطيب لم يعتمدها كأداة للتبليغ، حيث إنه يجثم في موطن يقتضي التصريح، ولا ضير إن عرجنا على هذا الفن، باعتباره يملك القدرة على بعث المعاني بأسلوب غير مباشر، ولذلك ذكرناه في هذه الجزئية لحاجتنا إليها في مواضع لاحقة، باعتبار أن المقام يناسب ذلك من جهة، وتفاديا للتكرار من جهة أخرى.

1– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص63.

الكناية اصطلاحا " هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى"[1]، فالكناية هي الإشارة إلى الشيء بمعنيين أحدهما حقيقي والآخر مجازي، وهو المراد من الكناية إذ إن استنتاجه يكون بالملاحظة والتمعن في الدليل الذي يشير إليه.

وقد قسم علماء البلاغة الكناية إلى ثلاثة أقسام:

1- كناية عن صفة: " وهي التي يطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية كالجود، لا النعت"[2]، إذ يراد بها تكنية الموصوف بصفة لازمة دون التصريح بها.

2- كناية الموصوف: " وهي التي يطلب بها نفس الموصوف، والشرط هنا أن تكون الكناية مختصة بالمكني عنه لا تتعداه، وذلك ليحصل الانتقال منها إليه"[3].

3- كناية النسبة: " ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه..."[4]، حيث إنها تختص بالموصوف فتؤكد الصفة له أو تنفيها عنه.

والكناية بكل أقسامها تعطي للنص الأدبي قدرة هائلة تكشف من خلالها مواطن الجمال فيه وإن كان متن هذه الخطبة يخلو من ضروبها.

1- علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان المعاني البديع، ص125 .

2- عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص 212 .

3- المرجع نفسه، ص 215.

4- المرجع نفسه، ص 217.

رابعا: المحسنات اللفظية

تعد المحسنات اللفظية من ضروب البديع التي تضيفي بحضورها على النص الأدبي نوعا من الجمال من ناحية الشكل والمضمون، ولاستجلاء هذه المحسنات في متن الخطبة لا بد من تحديد معالمها أولا :

1- السجع:

يعد السجع من الزخارف اللفظية التي تزخر بها الخطابة إلى جانب فنون النثر الأخرى، ورغم أنه اتسم بالقلة في خطب صدر الإسلام إلا أنه لم يندثر، وكان سبيله يخلو من التصنع والتكلف .

السجع اصطلاحا هو : " توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد"[1]، ويشترط في السجع موافقة اللفظ للمعنى وسلامة التركيب وإلا كان الكلام معيبا، وينقسم السجع حسب علماء البلاغة إلى: "السجع المطرف، والمرصع، والمتوازي، والمشطر"[2].

ولا شك أن خطبة الصديق –رضي الله عنه– لم تخل من مثل هذه الزخارف اللفظية وما كان ذلك إلا عفو خاطر، ذلك أن الأمر يقتضي التجرد من بواعث الصنعة اللفظية والتكلف، ومن أمثلة السجع في متن الخطبة ما ورد في قوله: " إن الله بعث محمدا رسول الله إلى

1- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط ، دت، ص 215.

2- ينظر المرجع نفسه، ص 217، 218، 219.

خلقه وشهيد على أمته..."[1]ففي لفظة(خلقه) ولفظة(أمته) نلحظ نوعا من الموسيقى التي أضفت ضربا من الجمال على الكلام، وقدرة على التأثير في المتلقي وذلك للفت انتباهه، فرغم عدم ائتلافهما في الوزن إلا أنها اتفقت في القافية وهذا من السجع المطرف الذي يكسب الكلام وقعا في الأذن، ثم ينقطع السجع فيما تلاه من قول حرصا من الخطيب على تجنب الصنعة، ليتواصل الجرس الموسيقي وذلك جلي في قوله: " ...ويزعمون أنها لهم عنده شفاعة، ولهم نافعة"[2] فلفظتي (شفاعة، نافعة) رغم اختلافها في الوزن إلا أنهما اتفقا في الروي وهذا –أيضا– من ضروب السجع المطرف الذي يضفي على الكلام جمالا وتناسقا يربط بين الفقرات.

ومن باب السجع المطرف–أيضا– يقتبس الخطيب آية لم تخل من مواطنه ويتضح ذلك في قوله عز وجل: ﴿ **وَيَعبُدونَ مِن دونِ اللَّـهِ ما لا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَيَقولونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللَّـهِ**﴾ [يونس/18]، فلفظتي (يضرهم، ينفعهم) رغم اختلافهما في الوزن اتفقا في التقفية وهذا ما أضف جمالا ووقعا موسيقيا على الآية.

ويستمر السجع المطرف في الظهور بعد الانقطاع، ليظهر في عدة مواطن من متن الخطبة وذلك من خلال الألفاظ التالية:

(قومه، تصديقه، الإيمان به، المؤاساة له، الصبر معه)، فنلحظ اختلافا في الوزن واتفاقا في

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 62.

2- المصدر نفسه، ص 62.

القافية زاد المتن رونقا وجمالا يخلو من بوادر التصنع والتشدق، ليواصل هذا التناغم في الظهور من باب السجع المطرف، حيث يتضح في قوله: "...على شدة أذى قومهم لهم، وتكذيبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالف زار عليهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم، وتشنف الناس لهم، وإجماع قومهم عليهم..."[1]، فنلحظ في الألفاظ التالية: (قومهم، لهم، تكذيبهم، إياهم، عليهم، عددهم، لهم، قومهم، عليهم) اختلافا في الوزن واتفاقا في التقفية، حيث أضف على متن الخطبة جرسا موسيقيا، زادها جمالا وترابطا واتساقا، ويستمر السجع على هذا النحو إلى غاية قوله –رضي الله عنه– : "...فنحن الأمراء وأنتم الوزراء..."[2]، إذ نستشف أن في لفظتي (أمراء، وزراء) نوع آخر من السجع يتضح بائتلاف بينهما من ناحية الوزن والقافية وهو السجع المرصع، الذي أضف على القول إيقاعا منظما للألفاظ جعل للكلام وقعا في السمع.

وربما يرجع سبب اعتماد الخطيب على السجع في خطبته لأمرين:

الأول: طبيعة الألفاظ التي يملكها الخطيب جاءت وفقا لجرس موسيقي.

والثاني: رغبة الخطيب في لفت انتباه المتلقي وذلك واضح من خلال إدراجه السجع تارة، والانقطاع عنه تارة أخرى حرصا منه على تجنب بوادر الصنعة.

1- المصدر السابق، ص 63.

2- المصدر نفسه، ص 63

2- الاقتباس:

يعد الاقتباس من الأساليب البلاغية التي تكسب الكلام القوة والحجة، والتأييد، ذلك أنه يعد مفتاح الخطيب الذي يولج به إلى قرارات الأنفس.

والاقتباس في اللغة هو: " القبس النار والقبس الشعلة من النار...، واقتبست منه علما أي استفدته، وأتانا فلان بقبس علم فأقبسناه أي علمناه"[1].

إن مدلول مادة قبس من الجانب اللغوي إنما هي دليل الأخذ من الشيء، أما في الجانب الاصطلاحي فالاقتباس هو: " إدخال المؤلف كلاما منسوبا للغير في نصه، ويكون ذلك إما للتحليل أو للاستدلال، على أنه يجب الإشارة إلى مصدر الاقتباس بهامش المتن..."[2]، فالاقتباس هو الاستعانة ببعض أقوال الغير المشهورة لدعم الكلام وتأييده، أما الاقتباس في البديع فهو: " تضمين النثر أو الشعر شيئا من القرآن أو الحديث الشريف..."[3].

إن اقتباس بعض آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية إنما هو دليل على قدرة المبدع في توظيف الحجة الصادقة التي لا ضير فيها، وإذا ما عرجنا على أنواع الاقتباس فيمكن القول أنه ينطوي على نوعين: اقتباس مباشر، وآخر غير مباشر يتضحان بالبحث في حيثيات النص الأدبي.

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة "ق، ب، س "، مج 12، ص 9،8.

2- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 56.

3- علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان، المعاني البديع، ص 270.

وما يهمنا في هذا المقام هو توفر هذا الفن في متن الخطبة، ولا شك أن الحنكة الأدبية التي يتمتع بها الصديق –رضي الله عنه– لم تغفل هذا الجانب الفني في نص الخطبة، حيث يتضح جليا في بعض مواطنها، إذ نجد أن الخطيب اقتبس آيتين من القرآن الكريم، الأولى تتجسد في قوله تعالى: ﴿ **وَيَعبُدونَ مِن دونِ اللَّـهِ ما لا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَيَقولونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللَّـهِ**﴾ [يونس/18] والثانية تتمثل في قوله عز وجل: ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾[الزمر/03]، وقد عمد الخطيب إلى الاقتباس في هذا المقام ليكسب كلامه القوة والحجة والتأييد، ونلاحظ أن في هذا الاقتباس المباشر قدرة على توظيف ألفاظ الآية الأولى، حيث إن الخطيب عمد إلى وضع الألفاظ في جمل تحمل نفس المعنى الذي جاءت به الآية، ويتضح ذلك في قوله: " وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شفاعة، ولهم نافعة"[1]، فنجد معنى هذا القول يقابل نفس المعنى الذي نستشفه من الآية الأولى[يونس/18].

إن هذا الاقتباس دليل على قدرة الخطيب على إحكام الربط بين كلامه وما اقتبسه من القرآن الكريم، ذلك أنه أحسن توظيفه فاعتمده كحجة دامغة أكسبت القول دقة وقوة، جعلت النفوس تتيقن من صدقه.

1– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص62.

خامسا: المحسنات المعنوية

1- الطباق:

يعد الطباق أو المطابقة من المحسنات البديعية المعنوية التي تكسب النص الأدبي ضربا من البلاغة، بالإضافة إلى أنه يكسبه ضربا آخر من الوقع الموسيقي الذي يلفت انتباه المتلقي فالضد تفهم المعاني وتتضح الأشياء، وإذا ما أردنا تحديد مفهوم الطباق أو المطابقة من الجانب الاصطلاحي فهو على حد وضع البلاغيين: " الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة، أو بيت من أبيات القصيدة..."[1]، وهذا إنما دليل اجتماع المتضادات في الطباق ليدل كل منهما على ما يخالف غيره.

والطباق ثلاثة أنواع: "طباق إيجاب، طباق سلبي، وإيهام التضاد"[2]، ولا ضير أن مثل هذا الفن إنما هو بيان الأشياء وفروقها، وهذا ما يجعل المعاني تتضح بصورة جلية للعيان.

عمد الخطيب إلى باب المطابقة في موضع واحد، يتضح في الآية الكريمة التي اقتبسها من القرآن الكريم لدعم حجته وتأييد قوله، وتتجسد في قوله تعالى: ﴿ **وَيَعبُدونَ مِن دونِ اللَّـهِ ما لا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَيَقولونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللَّـهِ**﴾ [يونس/18] ، إذ يتجلى فن المطابقة في الآية الكريمة من خلال التضاد بين الفعلين **(**يضرهم، ينفعهم**)** وهو في الأصل طباق إيجاب بحيث اجتمع فعلين متناقضين فالضر هو نقيض النفع.

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة "ط، ب، ق"، مج12، ص125.

2- أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، ص 316.

وقد اتضح أثر هذه المطابقة في إبراز المعنى، ذلك أن هذه الآلهة المزعومة التي يعبدها المشركون لا تملك ضرا ولا نفعا وهي بهذا لا تملك لهم شفاعة عند الله، وقد جاءت المطابقة مشحونة بالتكميل من خلال العطف ويتجلى ذلك في متن الآية الكريمة، وهذا التكميل إنما دليل على انعدام صفتي الضر والنفع فلو جيء بأحدهما دون الآخر، لحدث شك في أن هذه الآلهة إنما تتوفر على إحدى الصفتين، وقد ساهم هذا التكميل في حدوث اليقين وإزالة الشك من الأنفس، حيث إن مفاده أن هذه الآلهة إنما هي أصنام مجردة من الحياة.

2- اللف والنشر:

إن مرمى البلاغة يجعل من المبدع يستهدف كل فنونها، ولا شك أن أسلوب اللف والنشر من أرقى الأساليب البلاغية، لما يواريه خلف طياته من جمالية في المقصد، ودلالة في المعنى.

واللف والنشر على حد وضع البلاغيين هو: " ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه لعلمه بذلك بالقرائن اللفظية والمعنوية "[1]، وحيث إن اللف والنشر يتعلق بذكر شيئين فأكثر، إما بالتفصيل فيدل على واحد منها بقرينة، وإما إجمالا ويكون بلفظة واحدة تدل على متعدد ويدركها المتلقي بالعقل والتأمل.

1- عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص 175.

لم تخل خطبة الصديق – رضي الله عنه – من أسلوب اللف والنشر، وقد تجلى للعيان في قوله: " وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شفاعة، ولهم نافعة"[1]، فقد عمد الخطيب في هذا المقام إلى ذكر الآلهة بلفظة واحدة تدل على متعدد (شتى)، إذ يرمي إلى أن رسالة الحق التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام، رغم أنها جاءت إلى كافة الخلق إلا أن هذا الخلق عرف عبادات أخرى عظم عليه تركها، وهو بهذا يشير إلى أنواع الشرك، فمن الخلق من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الشمس والقمر والحيوانات... ثم يدل على هذه الآلهة المتعددة بنوعين منها مصنوعة من "حجر منحوت وخشب منجور"[2]، ولعل سبب لجوئه إلى النشر بعد اللف، هو أن الغالب في الجزيرة العربية عبادة الأصنام المصنوعة من الخشب المنجور والحجر المنحوت، فالجزيرة هي مقر الدعوة الإسلامية ولا بد أن يخصها بالتفصيل.

3- الالتفات:

يعد أسلوب الالتفات من الأساليب البلاغية تضف على القول حسنا وجزالة، إذ عده علماء البلاغة من محاسن الكلام وبديعه.

وأسلوب الالتفات في مجمل تعاريفه هو: " انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار،

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 62.
2- المصدر نفسه، ص 62.

وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه معنى آخر"[1]، فالالتفات متعلق بانصراف المتكلم في الكلام من موضع إلى آخر لغرض بلاغي.

ولأسلوب الالتفات ثلاثة أقسام:

1- الرجوع من الغيبة إلى الخطاب أو من الخطاب إلى الغيبة.

2- الرجوع عن فعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن فعل الماضي إلى فعل الأمر .

3- الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالفعل الماضي[2]

يتجلى أسلوب الالتفات في الخطبة التي بين أيدينا في موضعين يمكن استجلائهما على النحو التالي:

الإخبار عن فعل ماض بفعل مستقبل ويتضح ذلك في قوله رضي الله عنه: "... فلم يستوحشوا لقلة عددهم، وتشنف الناس لهم، وإجماع قومهم عليهم، فهم أول من عبد الله في الأرض، وآمن بالله وبالرسول..."[3]، فقد وظف الخطيب للدلالة على حال المهاجرين فعل مضارع معطوف على أفعال ماضية، أما الفعل المضارع فيتمثل في الفعل (يستوحشوا)، لتتمثل الأفعال الماضية في : (تشنف، عبد ،آمن)، والغرض من هذا الالتفات استحضار

1- ابن المعتز، كتاب البديع، ص 58 نقلا عن عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص 143.

2- ينظر،عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص 146.

3-أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 63.

الخطيب الواقع الذي عاشه المهاجرون كما لو أنه حاضر تعيشه الأنفس لتدرك مكمن الحق (حق المهاجرين في الخلافة)، واندماج الفعل المضارع مع الأفعال الماضية إنما هو لغرض بلاغي يرمي من خلاله الخطيب إلى بعث الوقائع في صورة حية.

أما أسلوب الالتفات في الموضع الثاني يتضح في انصراف الخطيب عن الغيبة (الإخبار) إلى المخاطب وذلك واضح في موضعين:

أما الموضع الأول فيتضح في قوله: "... وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام..."[1] فنستشف من هذا القول نقلة نوعية أكسبت الكلام بلاغة، حيث عمد الخطيب من فعل الإخبار عن أحقية المهاجرين في الخلافة وذلك من خلال تعداد أفضالهم وأسبقيتهم في الإسلام، إلى مخاطبة المتلقي(الأنصار) للوصول إلى قرارة نفسه من منبر الكلمة الطيبة وذلك لطمأنته على حقوقه المحفوظة وتعداد أفضاله المعترف بها، وفي كل هذا رغبة جامحة تعتري الخطيب للفت انتباه المتلقي إلى مرمى الحق.

يبرز الموضع الثاني لأسلوب الالتفات من خلال قوله –رضي الله عنه– "... فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تفتانون بمشورة و لا تقضى دونكم الأمور"[1]، إذ يتضح جليا أن الخطيب انتقل من فعل الأخبار من خلال ضمير المتكلم (نحن) أي الإخبار عن منزلة المهاجرين (الأمراء) إلى فعل المخاطبة من خلال ضمير المخاطب "(أنتم)، حيث خاطب

1- المصدر السابق، 63.

وأكد له منزلته (وزراء) وفي كل هذا بلاغة يرمي من خلالها الخطيب إلى تبيان الحقوق وإملاء الواجبات.

وفي كل ما تقدم نستشف أن الخطيب اكتسب من البلاغة ما مكنه من أن يأتي بالمعاني متواترة جزلة وفق مقتضى الحال والمقام، حيث اتسم قوله بالتنويع في الأساليب البلاغية، من محسنات لفظية ومعنوية زادت الخطبة قوة وتأثيرا وأكسبتها جمالية وبلاغة تقرع السمع، وتلفت الانتباه وتخلق في النفس أثرا حسنا.

1- المصدر السابق، ص63.

الفصل الثاني: دراسة موضوعية فنية

الدراسة الموضوعية :

الخطبة الأولى: خطبة أبي بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة.

I - دوافع الخطبة

II -أبعاد الخطبة:

1- البعد النفسي

2- البعد الاجتماعي

3- البعد الديني

4- البعد السياسي

الدراسة الفنية:

I - الألفاظ

II - التركيب:

أولا: التقديم والتأخير

ثانيا: الفصل والوصل

ثالثا: الأساليب الخبرية والإنشائية

رابعا: القصر

خامسا: الإطناب والمساواة

III- الصورة الفنية:

1- التشبيه

2-المجاز

3- الكناية

4- المحسنات اللفظية:

أ- السجع

ب- الاقتباس

5- المحسنات المعنوية:

أ- الطباق

ب- اللف والنشر

ج- الالتفات

الخطبة الثانية: خطبة أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– في سقيفة بني ساعدة* .

صعد المنبر، حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

" أيها الناس نحن المهاجرون، أول الناس إسلاما، وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها، وأكثر الناس ولادة في العرب، وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم، فقال تيارك وتعالى: ﴿ **وَالسّابِقونَ الأَوَّلونَ مِنَ المُهاجِرينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذينَ اتَّبَعوهُم بِإِحسانٍ**﴾[التوبة/100] فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء(الغنائم)، وأنصارنا على العدو، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيرا، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله"[1] .

* إما أن تكون الخطبتان قيلتا في زمانين مختلفين، وإما أن تكون الرواية مختلفة.

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 63.

I – دوافع الخطبة:

إن الحديث عن هذه الخطبة يربطنا بسابقتها (الخطبة الأولى)، ذلك أنها جاءت وفقا لنفس الظروف والدوافع، إذ أن اجتماع السقيفة كان سببا في أن يعمد الصديق –رضي الله عنه–إلى التوثب لتهدئة الأوضاع المشحونة بغمرات الاستحقاق للخلافة، حيث إن الأنصار طالبوا بها طمعا في شرفها، فهم يعتقدون أنهم يملكون حق المشاركة في الحكم، وهذا الحق إنما يعطيهم حق الإمارة، فشرف الخلافة هو الأمر المتنازع عليه في هذا المقام باعتبار أنها مرتبطة بأشرف خلق الله محمد عليه الصلاة والسلام.

II – أبعاد ا لخطبة:

إذ ما ولجنا إلى ذات الخطبة لنستشف أبعادها، فإننا نجد أنها مشحونة بنفس أبعاد الخطبة السابقة، وإن اختلفت في بعض مواقعها، إذ يمكننا استجلاء هذه الأبعاد على النحو التالي:

1/البعد النفسي:

لم يكتف الصديق –رضي الله عنه– بما أورده من قول يعدد فيه أفضال المهاجرين عن غيرهم حيث إن هذه الأفضال تعطيهم حق الإمارة، فنجده –أيضا– في هذه الخطبة يعمد للحفاظ على شتات الأمة فهو بحنكته وسياسته الراجحة يعتمد أسلوب الشدة مع بعض اللين بعد أن تيقن من أن المتلقي قد أدرك الحق وهو به راض، وكل هذا بغية التسلل إلى النفوس

فتثبت الحق (حق المهاجرين في الخلافة) وتدحض الباطل (حفظ الأمة من الشتات)، فالمهاجرون " أول الناس إسلاما، وأكرمهم أحسابا وأوسطهم دارا..."[1] ، وهذا ما يجعلهم أحق الناس بالخلافة، وقد نجح الخطيب في استمالة النفوس والحفاظ على استقرارها على منهج النبي عليه الصلاة والسلام.

2/ البعد الاجتماعي:

لم تخل هذه الخطبة من مشارب العدالة الاجتماعية، باعتبارها جاءت كنسخة طبق الأصل عن الخطبة السابقة، وإن طبعها بعض الاختلاف، إلا أننا نستشف عدالة الصديق -رضي الله عنه- الذي حافظ على استقرار الأمة الإسلامية على المبدأ الصحيح، وفي نفس الوقت أعطى لكل ذي حق حقه من منبر الكلمة الطيبة، فقد أسس لأحقية المهاجرين في الخلافة من هذا المنبر، وفي نفس الوقت لم يغمط حق الأنصار باعتبارهم الفئة الثانية التي خص بها الله عز وجل نبيه الكريم إذا ما تحدثنا عنهم من باب الأقدمية في الإسلام، فالعرب " لا تدين إلا لهذا الحي من قريش"[2] ، ذلك أن شرف الإمامة إنما الحائز عليه هو شخص من أهل النبي عليه الصلاة والسلام باعتبار أن العرب تكن الولاء لقريش، وهذا لا يعني أن الدين الإسلامي ميز بين طبقات البشر، بل ألغى التفاخر بالأنساب في كل شؤون الحياة بصفة مطلقة والدليل على ذلك قوله تعالى في القرآن الكريم:

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 63.

2- المصدر نفسه، ص 63.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات/13]، فالخطيب يعمد في مطلع الخطبة إلى القول أن المهاجرين" أول الناس إسلاما، وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها..."[1]، ذلك أنه يريد أن يخبر ويذكر القوم بأن جنس قريش هو أفضل الأجناس في تاريخ العرب، ولذا وجب أن تكون الإمامة من أفضل الأجناس، وقد استدرج القوم للتفكير في هذا الكلام المنطقي من خلال ما أورده من أدلة متواضع عليها في الأذهان، ذلك أن قريش قد أكرمها الله دون غيرها من القبائل، ففي الجاهلية كانت لها مفاتيح البيت الحرام(مكة) والذي لا يفتحه إلا الأشراف بالإضافة إلى أن أهلها كانوا يشتهرون بمكارم الأخلاق من جود وكرم ومناصرة للمظلوم وسقاية للحاج...، كما أن الخطيب ذكر الموقع الجغرافي لقريش"...أوسطهم دارا..."[2]، حيث إنها مركز الطرق التجارية باعتبار أن مكة هي مركز الأرض وهذا ما جعلها تتميز بمكانة مرموقة، وأهم شيء في كل هذا أن الله عز وجل فضل أهلها عن غيرهم فبعث منهم نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنزل القرآن بلغتهم (اللغة العربية) وهذا ما يجعلهم أفضل الأجناس، فلهم الحق في الإمارة ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم.

ونتيجة لما أوردناه يمكن أن نستشف بطريقة جلية عدالة الصديق –رضي الله عنه– إذ يمكننا أن نلاحظ طريقته في استمالة القلوب وتثبيتها على الحق، بحيث اقتنع كل شخص بما له من حق وما عليه من واجب دون أن يحقد على غيره، وهذا ما يجعلنا نجزم بعدالته.

1- المصدر السابق، ص 63.
2- المصدر نفسه، ص 63.

3/ البعد الديني:

إن الحديث عن الجانب الديني في هذه الخطبة يجعلنا نرطبها بسابقتها ونصفها بجزء لا يتجزأ منها، ذلك أنها – كما ذكرنا سابقا – جاءت لتخدم نفس القضية (حق المهاجرين في الخلافة) ففي الخطبة الأولى نجد الخطيب يؤسس للفضية بتذكير الناس بالوقائع التي صاحبت الدعوة المحمدية وذلك لتثبيتهم على التوحيد من جهة، وتعداد أفضال المهاجرين وأقدميتهم في الإسلام وهذا ما يعطيهم حق الإمارة من جهة أخرى.

ولأن هذه الخطبة جاءت مكملة لسابقتها تحمل نفس معانيها فإنها خلت من الشق الديني باعتباره حاضرا في النفوس، وذلك راجع إلى أن الخطيب جاء بالخطبتين وفقا لنفس مقتضى الحال، ولهذا يمكن اعتبار غياب الجانب الديني في هذا المقام مؤشر على حضوره في المقام السابق.

4/ البعد السياسي:

إن الجانب السياسي في هذه الخطبة مرتبط لا محالة بما جاءت به الخطبة السابقة، والتي فتحت المجال أمام مجلس الشورى لينتهي القوم إلى ثنائية " نحن الأمراء وأنتم الوزراء "[1]،

وقد كانت رجاحة الصديق –رضي الله عنه– سببا في تأصيل مبدأ الشورى اقتداء بالنبي

1- المصدر السابق، ص 63.

عليه الصلاة والسلام، وعملا بتعاليم القرآن الكريم باعتبار أن أسس اختيار الخليفة كانت مجهولة المعالم، وقد جاءت هذه الأسس نتيجة للحوار الهادئ الذي حصل في السقيفة، والذي طبعته روح المسؤولية والذود عن شتات الأمة.

I –الألفاظ:

إذا تحدثنا عن ألفاظ هذه الخطبة، فإن هذا الحديث يفرض علينا أن نقف وقفة استجلاء لدلالتها وعلاقتها مع سابقتها، وبطريقة جلية يمكننا أن ندرج مقارنة بسيطة نوظفها في سياقين:

السياق الأول يتعلق بالحالة النفسية التي اتسم بها الخطيب في الخطبة الأولى وكيف تجلت تغيرات هذه الحالة في متن الخطبة التي بين أيدينا، باعتبار أنها تحاكي نفس قضية سابقتها (حق المهاجرين في الخلافة).

وسبب حديثنا عن الحالة النفسية في هذا المقام، هو إدراكنا أن للموضوع دور في توجيه الألفاظ وفقا للمعاني، كما أن الحالة النفسية لها نفس الدور في هذا التوجيه، ومن هذا المنطلق نجد أن ألفاظ الخطبة قد حملت ملامح الحالة النفسية التي كانت تعتري الخطيب، إذ نجده في الخطبة الأولى يعتمد أسلوب اللين والرقة مع بعض الشدة، ثم ينتقل في الخطبة الثانية إلى أسلوب الشدة مع بعض اللين وإن كان حضوره (اللين) قليلا في المتن، فنجد

الخطيب بعد أن تأكد من يقين المتلقي (الأنصار) من مكمن الحق، جاءت خطبته هذه

متصدعة بألفاظ قوية من شأنها أن تملي الواجبات وتحفظ الحقوق، حيث عمد الخطيب إلى التصريح المباشر بالقضية، بعد أن أسس لها في الخطبة الأولى بأسلوب لين يخفي جزءا من الحقائق ويبعثها ببلاغة راقية أخضعت النفوس الثائرة.

ولعل أبرز مثال على تغير الحالة النفسية عند الخطيب قد يتضح إذ أدرجنا مقارنة بسيطة بين ما جاء به في خاتمة كل خطبة، فنجده في الخطبة الأولى يقول: "... فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور"[1]، في حين أنه يقول في آخر الخطبة الثانية:"... فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله"[2] .

فنلحظ من خلال سياق الكلام وتشكل الألفاظ بمعانيها أن طريقة الصديق – رضي الله عنه– في الكلام قد تغيرت، وقد تجسد هذا التغيير في الألفاظ والمعاني، إذ نجده في القول الأول يتبع أسلوب اللين مع بعض الشدة وذلك ليثبت الحق في نفس المتلقي، بينما نجده في القول الثاني يعمد إلى أسلوب الشدة الذي طبعه اللين ولعله يتضح في قوله: "...إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدو..."[3] ، فنلحظ أن الخطيب قبل أن يطلق الحكم بأحقية المهاجرين للإمارة، يذكر الأنصار بالأخوة التي تجمعهم والتي أوجدها بينهم

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 63.

2- المصدر نفسه، ص 63.

3- المصدر نفسه، ص 63.

انتمائهم للدين الواحد.

وقد كان الخطيب فطنا إلى أن المقام يستدعي توظيف كل لفظة في سياقها الصحيح، فوجب أن تكون الألفاظ متآلفة مع جاراتها حاملة للمعاني الدقيقة من جهة، ومناسبة للمقام ومقتضى الحال من جهة أخرى، ويتضح ذلك جليا في مطلع الخطبة الذي يقول فيه: " أيها الناس نحن المهاجرون أول الناس إسلاما، وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها، وأكثرهم ولادة في العرب..."[1]، فبعد أن عمد الخطيب في الخطبة السابقة إلى توطئة ذكر فيها بالوقائع التي صاحبت الدعوة المحمدية، وقد مهد بها للشروع في توضيح القضية (حق المهاجرين في الخلافة) نجده في هذه الخطبة يدخل في صلب الموضوع، فجاءت ألفاظه متناسقة موجزة ومتواترة في معانيها، والدليل على ذلك أنها وفقت في نقل الحقائق، ذلك أن الحقيقة واضحة فالمهاجرون أول من شهد الإسلام وأول من آمن به، وهم كذلك من أفضل الأجناس، إذ ينتمون إلى موقع جغرافي متميز(قريش تتوسط الطرق التجارية، وفيها البيت الحرام الذي تحج إليه كل القبائل)، كما أن مكانة قريش جعلتها تملك منزلة رفيعة، فقول الخطيب "...وأحسنهم وجوها..."[2]، ربما يقصد به أن قريش كانت من أشرف القبائل لتميز أهلها بمكارم الأخلاق وكذلك مكانتها المرموقة المعروفة بين القبائل كما أنها تعد من أكثر القبائل نسلا وولادة...، وبالتالي كان حضورها في كل المقامات واجبا على كل قبيلة باعتبارها من زعماء القبائل، وهنا نلاحظ أن اللفظ قد اتسق مع المعنى، في حلة مثقلة

1- المصدر السابق، ص 63

2- المصدر نفسه، ص 63.

بالبلاغة وجودة السبك، وحسن الصوغ، وكل هذا إنما مورده بلاغة الخطيب وحنكته اللغوية التي مكنته من صوغ الألفاظ وفقا للمعاني بما يناسب الحال والمقام.

أما **السياق الثاني** فستكون المقارنة فيه متعلقة بالتقاطع بين الألفاظ والمعاني في الخطبتين إذ نجد أن هذه الخطبة(الخطبة الثانية)حملت بعض ألفاظ ومعاني الخطبة السابقة، وإن كانت هذه الألفاظ والمعاني تتسم بالإيجاز الدقيق في هذا المقام، إذ جاء اللفظ متساويا مع المعنى يتسم بالبلاغة الشديدة، وذلك راجع لمراعاة الخطيب لمقتضى الحال، حيث إنه عمد إلى التصريح بحق المهاجرين في الخلافة، وهذا التصريح إنما يتطلب حقائق مجردة يجب أن تظهر للملأ دون أية مراوغات من شأنها أن تبعثها على مهل.

ومن مواطن التقاطع بين الألفاظ التي حملت نفس المعاني في الخطبتين قول الخطيب في الخطبة التي بين أيدينا: "...أول الناس إسلاما..."[1] وقوله في نفس الخطبة في موضع آخر:" ...أسلمنا قبلكم..."[2] ، فنجد أن هذين القولين يلتقيان مع ما قاله في الخطبة السابقة والذي يتضح في ما يلي:"...أول من عبد الله في الأرض وآمن بالرسول..."[3] .

إن المتمعن في كل هذا يجد أن ألفاظ ومعاني الخطبة الثانية جاءت موجزة بشكل دقيق، حملت معاني الخطبة الأولى والتي إذا ما قارناها بهذه الخطبة وجدنا أنها قد اتسمت بنوع

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 63.

2- المصدر نفسه، ص63.

3- المصدر نفسه، ص 63.

من الإسهاب والتطويل في القول، حيث إن الخطيب في الخطبة الأولى عدد أفضال المهاجرين من باب أسبقيتهم في الإسلام فقط، في حين أنه في هذه الخطبة نجده يجعل الأسبقية في الدين متعلقة بالانتماء إلى قريش باعتبارها أشرف القبائل، ورغم أنه أدرج شيء جديد في تعداد أفضال المهاجرين (انتمائهم إلى قريش) إلا أن كلامه جاء موجزا ودقيقا.

ومن مواطن التقاطع-أيضا- قوله رضي الله عنه في هذه الخطبة: "...وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم..."[1]، فهذا القول يلتقي مع ما قاله في الخطبة السابقة "...وهم أولياؤه وعشيرته..."[2]، فبعد أن تحدث الخطيب في الخطبة السابقة بضمير الغائب (هم) نجده في هذا المقام يتحدث بضمير المتكلم (نحن)، وربما يرجع ذلك إلى أن الخطيب تأكد من أن المتلقي (الأنصار) رضي بأن يكون هو الحاكم بين الفئتين من باب انتمائه للفئة الأولى (المهاجرين) وكونه أنسب الأشخاص لهذا المقام، ولعله(الخطيب) بأسلوبه هذا يضم نفسه للفئة الأولى ويتحدث بلسانها، وقد يكون تكراره لهذه الحقائق(صلة المهاجرين بالنبي صلى الله عليه وسلم) إنما رغبة منه في تذكير المتلقي بأحقية المهاجرين في الخلافة، وقد كانت البلاغة مادة الخطيب التي مكنته من الاستعانة باللفظ لأداء المعاني في كل مقام مع مراعاة مقتضى الحال.

ومجمل القول في كل ما تقدم، هو أن بلاغة الصديق -رضي الله عنه- بلغت ذروتها، حيث تتضح جليا في الألفاظ التي طبعت حالته النفسية، فأصبحت بمعانيها كما لو أنها جزء

1- المصدر السابق، ص 63.

2- المصدر نفسه، ص 63.

من شخصيته ونفسيته، وهذا ما جعل القلوب تلين والعقول تتيقن بمكان الحق فتتوثب إليه.

II –التركيب:

إذا ما تحدثنا عن التركيب في هذه الخطبة، فإن أول ما تجدر الإشارة إليه هو أن الخطيب قد اعتمد الألفاظ البسيطة فابتعد عن الحوشي الغريب، وقد تميزت ألفاظه بالدقة في التعبير والجمال في الصوغ فأدت المعنى على أتم وجه.

إن اعتماد الخطيب على التركيب البسيط كان سببا في سبك الألفاظ والمعاني بطريقة فريدة جعلت العبارات جزلة، فكانت بلاغته تحمل صفة السهل الممتع، ذلك أنه أوجد طريقة فريدة من نوعها آلف بها بين الفقرات فحقق الاتساق والانسجام.

وبغية استجلاء مواطن جمال التركيب في هذه الخطبة ستكون دراستنا وفقا للخطوات التالية:

أولا: التقديم والتأخير

يتضح التقديم والتأخير في متن الخطبة في موضع واحد، حيث عمد الخطيب في هذا الموضع إلى تقديم السبب على المسبب، ويتضح ذلك في قوله "...أسلمنا قبلكم، وقد منا في القرآن عليكم..."[1] ، فإذا أوردنا القول مورده العادي لجاء على النحو التالي:

"أسلمنا قبلكم، وقدمنا عليكم في القرآن" ، فلو قيل هكذا لجاء الأمر صحيحا، ولكن الخطيب قام بهذا التقديم والتأخير لكي لا يفصل بين السبب(أسلمنا قبلكم) والمسبب

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، 63.

(وقدمنا في القرآن عليكم) إذ يجب تقديم الوسيلة (فعل الإسلام) قبل حصول الغاية (التقدم في الذكر)، وقد تفطن الخطيب إلى ذلك وهذا ما جعل قوله بليغا محكم الصوغ والسبك.

ثانيا: الفصل والوصل

لم تخل الخطبة من مواضع الفصل والوصل، حيث إن كلام الصديق –رضي الله عنه– تميز بالجمع بين الحقائق تارة، والفصل بينهما تارة أخرى،

من مواضع **الفصل** في متن الخطبة قوله:"...وأمسهم رحما برسول الله، أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم..."[1].

إن المتمعن في هذا القول يجد أن العبارتين تختلفان في الدلالة، حيث إن كل منهما يحمل حقيقة مختلفة، كما هو الحال في قوله: "...فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفيء..."[2] فنلحظ هنا أن الخطيب يجمع في قوله حقائق متفرقة استوجب فيها الفصل لتعبر كل منها على شيء مختلف.

وللفصل مواطن أخرى في متن الخطبة، إذ يتضح في قوله–رضي الله عنه–: "فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله"[1]، حيث عمد الخطيب إلى الفصل بين هذه الحقائق لأن كل واحدة منهما مستقلة عن غيرها ولا يمكن الجمع بين شيئين إن اختلفا في الدلالة.

1–المصدر السابق، ص 63.

2– المصدر نفسه، ص 63.

أما مواطن **الوصل** فتتضح جليا في عدة مواقع من الخطبة، إذ نجد أن الخطيب اعتمد حرف العطف كأداة للجمع، فعطف كل جملة على الأخرى، بحيث تكمل كل واحدة منها سابقتها حيث لا يمكن الفصل بينهما، ومثال ذلك قوله في مطلع الخطبة: " نحن المهاجرون أول الناس إسلاما، وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها، وأكثر الناس ولادة في العرب وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم..."[1]، فنلحظ هنا أن الجمع بين هذه الحقائق أمر منطقي ذلك أن كلا منهما تعد مكملة للأخرى فلا يمكن أن نفصل بينها.

كما أن الخطيب ضمن كلامه آية قرآنية لا تخلو من مواضع الوصل، وتتجسد في قوله عز وجل :﴿**وَالسّابِقونَ الأَوَّلونَ مِنَ المُهاجِرينَ وَالأَنصارِ وَالَّذينَ اتَّبَعوهُم بِإِحسانٍ**﴾ [التوبة/100]، فنجد أن أداة الوصل هي حرف العطف (الواو)، حيث جمعت هذه الأداة بين حقائق مجردة لا يمكن فصلها عن بعضها، فجاءت الجمل معطوفة على بعضها مكملة لغيرها.

ولأن الخطيب يدرك مكمن البلاغة، استمر في الجمع بين الحقائق المنطقية، ويتضح ذلك في قوله:"...إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدو..."[2]، وقد استرسل ا خروج الخطبة في حلة مثقلة بجودة السبك، وحسن الصوغ وجزالة اللفظ.

لخطيب في الوصل بغية إيضاح المراد وتبيين الحقوق وإملاء الواجبات، وهذا يعد سببا في

1- المصدر السابق، ص 63.

2- المصدر نفسه، ص 63.

ومجمل القول في ما تقدم هو أن الخطيب اعتمد أسلوب الفصل والوصل وفقا لمقتضى الحال والمقام ذلك أن بلاغته مكنته من إدراك مواضعه، وهذا ما أكسب قوله الحجة والجودة والقدرة على الوصول إلى قرارة النفوس.

ثالثا: الأساليب الخبرية والإنشائية

أ-الأساليب الخبرية:

اعتمد الخطيب في إدراج الخبر على الجمل الاسمية، وهذا لا يعني عدم توفر متن الخطبة على الجملة الفعلية وإنما لها مواطن قليلة مقارنة بسابقتها.

من مواطن الجملة الاسمية ما يستجليه قوله -رضي الله عنه- : "... نحن المهاجرون أول الناس إسلاما، وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها..."[1]، اعتمد الخطيب في هذا المقام على الضمير المنفصل (نحن) إذ جعل له الصدارة ليفيد الحصر والتخصيص، حيث إن إسناد هذه الحقائق إليه يثبتها للمهاجرين ويجعلها متعلقة بهم دون غيرهم، وقد عمد الخطيب إلى هذا الضرب من التأكيد رغبة منه في تأكيد شرف الحكم وتقويته رغم عدم انطوائه على شك أو تردد.

ثم ينتقل الخطيب في موضع آخر من فعل التأكيد والثبوت إلى فعل الحصول لتأكيد الخبر وذلك من خلال عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية التي تفيد حصول الشيء،

1- المصدر السابق، ص63.

إذ لا نزاع أو جدال فيه ويتضح ذلك في قوله: "...أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم..."[1]، فبعد أن أثبت الخطيب أن المهاجرين هم " أول الناس إسلاما وأكرمهم أحسابا وأوسطهم دارا..."[2]، عمد إلى إثبات حصول فعل الإسلام والتقديم في القرآن، إذ إن هذا الفعل حصل ولا رجعة فيه وهو متعلق بفئة المهاجرين دون غيرهم، حيث انطوت الجملة الفعلية على ضمير متصل (نا) يعود على المهاجرين الذي بني عليه الكلام، وفي كل هذا رغبة في تأكيد الخبر لشرف الحكم وتقويته رغم خلوه من التردد والإنكار، وينتقل الخطيب بعد اقتباس آية من القرآن الكريم [التوبة/100]* إلى إدراج القول في جمل اسمية معطوفة هي الأخرى على جملة فعلية ويتضح ذلك في قوله: "...فحن المهاجرون وانتم الأنصار، إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفيء وأنصارنا على العدو، آويتهم وواسيتهم، فجزاكم الله خيرا..."[3]، فسنستشف من هذا القول انتقال الخطيب من خلال أسلوب الالتفات من الإخبار المخاطبة بتوظيفه لضميرين منفصلين هما "نحن" و "أنتم"، والغاية من ذلك هو الحصر والتخصيص إذ أن الخطيب عمد إلى تأكيد معنى الآية التي اقتبسها من القرآن الكريم إذ إن رغبته من هذا التخصيص إثبات صفة (الأولون) للمهاجرين من خلال الضمير المنفصل (نحن) وإثبات المرتبة الثانية للأنصار من خلال الضمير (أنتم)، ثم يعمد إلى تأكيد الحقائق

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 63.

2-المصدر نفسه، ص 63.

* يقول عز وجل: ﴿وَالسّابِقونَ الأَوَّلونَ مِنَ المُهاجِرينَ وَالأَنصارِ وَالَّذينَ اتَّبَعوهُم بِإِحسانٍ﴾ .

3- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص63.

الأخرى التي أوجدها الانتماء إلى الدين الواحد وهي الأخوة والشراكة في الفيء، والمناصرة على العدو، وكلها مثبتة ومتواضع عليها، وهذا التأكيد غرضه تقوية شرف الحكم.

وبعد هذا يعمد الخطيب إلى الجملة الفعلية التي تؤكد حصول الشيء وذلك في قوله: "...آويتهم وواسيتهم، فجزاكم الله خيرا..."[1]، إذ أن المراد هنا إثبات حصول فعل المأوى والمواساة وكذا أن الله عز وجل سيقابل هذا الصنيع بكل خير، وهذه حقائق مجردة عمد الخطيب لتأكيدها لتقوية شرف الحكم، رغم عدم نكرانه.

وفي آخر الخطبة يتجه الخطيب إلى نفس الصنيع، إذ يعطف جملة اسمية على جملتين فعليتين ويتضح ذلك في قوله:"... فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله"[2] إذ نستشف في مطلع القول أن الخطيب يعمد إلى تأكيد الإمارة للمهاجرين والوزارة للأنصار من خلال إسناد القول إلى الضميرين المنفصلين (نحن، أنتم)، ذلك أنه يرغب في أن تستقر الأذهان على ثبوت هذه المكانة لكل من الفئتين، والغرض من هذا إثبات الخبر المشكوك فيه، ثم يعطف على الجملة الاسمية نضيرة لها تبدأ بفعل وتتجسد في قوله : "لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش"[3]، إذ يرمي إلى إثبات عدم أحقية أي أحد للخلافة ماعدا هذه الفئة التي هي من

1- المصدر السابق، ص 63.

2- المصدر نفسه، ص 63.

3- المصدر نفسه، ص63.

قريش (المهاجرون) باعتبار أن العرب تكن لها الولاء وهذا أمر حاصل لا ريب فيه، ثم يردف جملة فعلية أخرى تتضمن أداة نفي للفعل وتتمثل في قوله: " فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله"[1] ، فالخطيب في هذا المقام يذهب إلى طلب عدم حصول فعل المنافسة رغبة منه في استقرار النفوس على الحق والابتعاد عن بواعث الحسد، وقد عمد إلى تأكيد هذا الخبر لتقويته واستقرار النفوس عليه.

ب- الأساليب الإنشائية:

يتضح الأسلوب الإنشائي في متن الخطبة من خلال موضعين، حيث تحقق كل منهما من خلال الإنشاء الطلبي.

أما **الموضع الأول** فيتجسد من خلال النداء الذي يدل في معناه عن " طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل أدعوا"[2] ، حيث إنه مرتبط بالعلاقة التي تجمع الداعي والمدعو، والتي تتحقق بعدة أدوات هي: "الهمزة، أي، يا، أيا، هيا، آ، آي، وا" إذ أن هذه الأدوات تستعمل في سياقين:

1- الهمزة، وأي لنداء القريب.

2- والأدوات الست الأخرى لنداء البعيد[3] .

ويتضح الإنشاء الطلبي المحقق بالنداء في متن الخطبة من خلال قول الخطيب:

1-المصدر السابق، ص 63.

2- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 114.

3- المرجع نفسه، ص 114.

"أيها الناس، نحن المهاجرون أول الناس إسلاما..."[1] إذ يهدف الخطيب من خلاله إلى لفت انتباه المتلقي (الأنصار) الذي هو في منزلة القريب، فقد عمد إلى ذكر العام (الناس) وهو في المقصد يرمي إلى الخاص (الأنصار)، حيث أردف أداة النداء(أي) الضمير المتصل (الهاء) والتي تفيد التنبيه، حيث تعد مكاتفة لأداة النداء (أي)، وهذا ما جعل النداء لا يخرج عن معناه الأصلي (لفت انتباه المتلقي) .

أما **الموضع الثاني** فيتجسد من خلال الإنشاء الطلبي المحقق بأسلوب النهي والذي يقصد به " طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام"[2]، وهذا يعني أن أسلوب النهي يتعلق بطلب العدول عن الفعل ترفعا أو إلزاما.

ويتجسد أسلوب النهي في الخطبة من خلال قوله–رضي الله عنه– "...فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله"[3]، إذ نستشف من هذا القول طلب الكف عن المنافسة، أي منافسة الأنصار للمهاجرين على المكانة التي منحها الله عز وجل لهم ، ولعل هذه المنافسة قد تؤدي إلى الحسد، ولهذا وظف الخطيب الفعل المضارع (تنفسوا) مردفا بـ (لا)الناهية الجازمة، ليخرج كلامه في صيغة الأمر الحقيقي، الذي مفاده أمر الأنصار بالكف عن منافسة المهاجرين في الخلافة.

ومن كل ما تقدم يمكن القول إن الخطيب عمد إلى التنويع بين الأساليب الخبرية

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 63.

2- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 83.

3-أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 63.

والإنشائية لإبرام الخبر، حيث جاء بكل منهما وفقا لما يقتضيه الحال والمقام.

وما يلفت الانتباه في متن الخطبة، قدرة الخطيب على التنويع في أساليب صوغ الكلام، إذ نستشف هذا التنويع من خلال بعض مواطن الخطبة كنحو قوله:" ...نحن المهاجرون أول الناس إسلاما، وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها، وأكثر الناس ولادة في العرب، وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم..."[1]، فالمتأمل في القول يلحظ أن الخطيب تعمد إدراج تمييز النسبة في هذا المقام، وهذا الصوغ إنما جاء كعفو خاطر، إذ إن ملكة القول التي يتميز بها الصديق –رضي الله عنه– تغنيه عن التصنع.

فنلحظ أنه جاء بتمييز النسبة ليكسب القول بلاغة، إذ نستشف أنه لم يعتمد على الصوغ البسيط الذي نتوصل إليه إذا ما أردنا تأويل القول، كقولنا مثلا بدل قوله رضي الله عنه: " نحن المهاجرون أسلمنا أول الناس، أحسابنا أكرم الأحساب، ودارنا أوسط قريش، ووجوهنا أحسن الوجوه، وولادتنا الأكثر في العرب، ورحمنا الأمس برسول الله صلى الله عليه وسلم"، ولعل الهدف من هذا الصوغ البليغ والسبك والجزل، يرجع إلى رغبة الخطيب في المبالغة في وصف أفضال هذه الفئة (المهاجرون) باعتبارهم ينتمون إلى أفضل الأحساب، ويتوسطون الدار باعتبار انتمائهم إلى قريش التي تحتل موقعا جغرافيا مميز، كما لم يغفل الخطيب مكارم الأخلاق التي تتميز بها هذه الفئة قبل وبعد الإسلام، وكثرة النسل وقرابة الدم والانتماء التي تربط بينها وبين النبي صلى الله عليه وسلم، فهدفه من هذه المبالغة إقناع الأنصار

1– المصدر السابق، ص 63.

بأن خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام يجب أن يكون من أفضل الأجناس.

وفي كل هذا بلاغة فريدة، مكنت الخطيب من سبك القول وخلق طرق متعددة تآلف بين اللفظ والمعنى بالتنويع في الأساليب، لينتهي السبك إلى قول جزل يصل إلى قرارة نفس المتلقي.

رابعا: القصر

يظهر أسلوب القصر في متن الخطبة من خلال موضع واحد، يتضح في قوله: "...لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش..."[1]، إذ نستشف من هذا القول أن أسلوب القصر يتضح من خلال (لا) النافية و(إلا)الاستثنائية، اللتين باجتماعهما تقصران فعل الدين والولاء لفئة معينة من قريش، وهي فئة المهاجرين باعتبار أن الولاء عند العرب كان لأفضل القبائل "قريش"، ليكون المقصور هو فئة المهاجرين والمقصور عليه هو صفة الدين والولاء، وهذا من ضروب القصر الحقيقي حيث إن الولاء يختص بقبيلة قريش ولا يتعداه إلى غيرها.

خامسا: المساواة والإطناب

أ- المساواة:

تنوعت ضروب المساواة في متن الخطبة، حيث عمد الخطيب إلى إدراج القول وفقا للمساواة بين الألفاظ والمعاني، إذ ضمنها خطبته مراعاة منه لمقتضى الحال والمقام، ومن مواطن المساواة في متن الخطبة قوله رضي الله عنه: " أيها الناس ، نحن أول الناس

1- المصدر السابق، ص 63.

إسلاما، وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها، وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم..."[1]، فنستشف من قوله هذا أنواعا من التناسق والترابط بين الألفاظ التي لم تخرج عن المعاني، فلفظة (أول) تعبر عن أن المهاجرين هم أول الناس الذين شهدوا الإسلام وأقبلوا عليه، وهي في طياتها تحمل نفس المعنى الذي شهدته الوقائع التي صاحبت الدعوة الإسلامية، وبائتلاف الألفاظ مع المعاني نجد أنها لم تخرج عما يرمي إليه الخطيب، إذ أن هذه المساواة أغنته عن التفصيل، فهو يرسم بلفظتي "...أوسطهم دارا..."[2]، الموقع الجغرافي الذي ينتمي إليه المهاجرون بحكم انتمائهم إلى قريش التي تحتل موقعا مهما بتوسطها الطرق التجارية، ووجود البت الحرام فيها، وهذا الانتماء يجعل منهم أفضل الأجناس والأكثر تناسلا في العرب، دون أن يغفل القرابة التي تجمع بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام، وفي كل هذا ضرب من المساواة بين الألفاظ والمعاني، حيث ارتقى القول كما لو أن هذه الألفاظ هي قوالب دقيقة التشكيل، قولبت المعاني فأخرجتها في حلة تتميز بالجزالة وحسن السبك وجودة الصوغ.

ومن مواطن المساواة –أيضا– قوله رضي الله عنه– "...أسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم..."[3]، حيث نستشف من هذا القول الطريقة التي جعلت الألفاظ تندمج مع المعاني وتتشكل في ثنائية حملت معان دقيقة تحاكي وقائع مجردة، حيث ارتقت فيها المساواة

1- المصدر السابق، ص 63.

2- المصدر نفسه، ص63.

3- المصدر نفسه، ص63.

فحضنتها بألفاظ جزلة تتميز بجودة الصوغ وحسن الرصف، وهو الحال في مقام آخر، إذ شكلت الألفاظ مع المعاني ثنائية متداخلة ويتضح ذلك في قوله: "...فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدو، آويتم وواسيتم فجزاكم الله خيرا...:"[1]، إذ نلحظ مساواة دقيقة بين الألفاظ والمعاني التي لم تخرج عن دلالتها، حيث ينتقل الخطيب في هذا المقام من ضمير المتكلم(نحن) إلى ضمير المخاطب(أنتم)وفق ثنائية متقابلة تجمع الألفاظ مع المعاني من خلال أسلوب الالتفات، إذ يرسم لنا من خلاله صورة تجسد منزلة كل من الفئتين، ثم ينتقل إلى الحديث عن العلاقة التي تجمعهما فيستعمل ألفاظا دقيقة تتساوى مع المعاني وفق ترتيب منطقي، إذ أن الأخوة التي خلفها الانتماء إلى الدين الواحد تجعل كلا من الفئتين شركاء في الفيء وأنصارا على العدو، ثم يعمد الخطيب إلى ذكر فضل الفئة الثانية(الأنصار) فيوظف لفظتين متساويتين في المعاني ترسمان من خلا اجتماعهما مع المعاني الدقيقة صورة حية لما قدمه الأنصار للمهاجرين من سكن ومأكل ومشرب...، لتنحصر كل هذه الحقائق في قوله:"...آويتم وواسيتم..."[2]، ثم ينتقل الخطيب إلى مقابلة هذه الأفضال بدعاء يحمل بين طياته كل أنواع الخير إذ يقول: "...فجزاكم الله خيرا..."[3]، حيث ربط الفعل(جزاكم) بلفظ الجلالة وفعل الجزاء يكون متعلقا إما بالخير أو بالشر فيوضح الخطيب مقصده بتوظيف لفظة تدل عليه، تتجسد في لفظة(خيرا) وفي كل

1- المرجع السابق، ص 63.

2-المرجع نفسه، ص 63.

3- المرجع نفسه، ص 63.

هذا ضرب من المساواة التي طبعت الألفاظ مع المعاني، إذ إن القول ينوب عن كلام كثير.

وقد استمر الخطيب في جمع كلامه في ألفاظ محصنة بمعان دقيقة ويتضح ذلك من خلال قوله: "...لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله..."[1]، ففي هذا المقام يعمد الخطيب إلى إرداف الفعل(تدين) المنفي باللام مع الفاعل (العرب) ليدل باجتماعهما على عدم أحقية العرب للخلافة ماعدا هذه الفئة(المهاجرون) التي وسمها"...بالحي من قريش..."[2]، لتدل الألفاظ باجتماعها مع المعاني المرادة على بلاغة الخطيب بحيث لم يخرج كل منهما عن حيز الآخر، ثم ينتقل إلى تضمين الفعل(تنفسوا) المنفي باللام الذي يضمن من خلاله دعوة صريحة إلى تجنب هذا النوع من المنافسة، ذلك أن الفعل(ينفس) هو دليل الحسد، وهذا الحسد يكون من إنسان لأخيه على نعمة من الله ، ويتضح لنا من خلال هذا المقام قدرة الخطيب على حياكة اللفظ بتآلفه مع المعنى دون أن يخل أحدهما بالآخر.

ب- الإطناب:

إن بلاغة الصديق -رضي الله عنه- مكنه من إدراج القول الواحد بعدة طرق، إذ إنه استغنى عن الإطناب في هذه الخطبة رغم توفرها في سابقتها، إلا أن المقام جعل الخطيب يدرك ضرورة الإيجاز في القول، فنلحظ أن الألفاظ جاءت دقيقة متساوية مع المعاني، تخرج عن مواطن الإسهاب والإطناب، وفي كل هذا بلاغة راجحة استغلها الخطيب للتفنن في

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص63.

2- المصدر نفسه، ص63.

القول وبعثه في حلة متعددة تتميز بالإسهاب تارة وبالإيجاز تارة أخرى، مدركا أن المتلقي يملك من القدرة ما يجعله يفهم الكلام بمختلف صيغه.

ومجمل القول في كل ما تقدم هو أن الصديق –رضي الله عنه–قد استطاع أن يخلق من الموضوع الواحد(حق المهاجرين في الخلافة) نصا فنيا يحمل منافذ متعددة، خرج منها القول بعدة طرق وأساليب تحاكي براعته وبلاغته الفريدة من نوعها.

Ⅲ–الصورة الفنية:

أولا: التشبيه

ينعدم متن الخطبة من ضروب التشبيه، حيث إن الخطيب لم يعمد إلى توظيفه، وربما يرجع السبب إلى كون الألفاظ والمعاني الواردة في هذه الخطبة لم تنطو على علاقة مشابهة التي غرضها التقريب الصور المتشابهة، وكل هذا جاء مراعاة لمقتضى الحال فلو اقتضى الحال استعارة وذهب الخطيب إلى التشبيه لأفسد مقتضى الحال.

ثانيا: المجاز:

يظهر المجاز في متن الخطبة من خلال المجاز اللغوي المتحقق بالاستعارة المكنية، حيث يتضح جليا في قوله – رضي الله عنه– : "...وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم..."[1]، فقد عمد إلى تشبيه الرحم(المشبه) بالإنسان(المشبه به) الذي يخص بحاسة اللمس، فحذف المشبه به ترك أحد لوازمه صيغة التفضيل(أمسهم) التي نستشف منها

1– المصدر السابق، ص 63.

الفعل(لمس)، على سبيل الاستعارة المكنية، فقد أراد الخطيب بهذه الاستعارة التشخيص وذلك من خلال استعار فعل(اللمس) من الإنسان وربطه بالرحم، ليدل به على القرابة التي تجمع المهاجرين بالنبي عليه الصلاة والسلام.

كما يظهر المجاز في الخطبة من خلال قوله في المطلع: " أيها الناس نحن المهاجرون، أول الناس إسلاما..."[1] ، إذ يتضح في هذا القول المجاز المرسل من خلال ذكر الكل الذي أريد به الجزء(أيها الناس)، والذي يقصد به المهاجرين والأنصار، فالأول خاص والثاني عام ذلك إن لفظة(الناس)هي موضع المجاز، فقد أطلقت وأريد بها في موضعها الأول فئة المهاجرين والأنصار الذين يخصهم الخطيب بالقول، في حين أنها في الموضع الثاني تدل على عامة الناس إذ أراد الخطيب من خلال هذا المجاز أن يحصر أمر الخلافة بين هاتين الفئتين دون غيرهما باعتبار أسبقيتهم في الدين، واللتين تتفاوتان في هذه الأسبقية مما يعطي حق الخلافة للمهاجرين دون الأنصار.

أما الموضع الثاني للمجاز المرسل فيظهر من خلال قوله – رضي الله عنه –:

"...لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش..."[2] ، فلفظة(الحي) هي موضع المجاز إذ إنها أطلقت بغرض الجزء وأريد بها الكل، أي إن الخطيب يرمي إلى القول أن ولاء العرب لا يكون إلا لهذه الفئة التي هي من قريش(المهاجرين)، وهذه الفئة إنما تدل على الكل(قريش)،

1- المصدر السابق، ص63.

2- المصدر نفسه، ص63.

ذلك أن الولاء لهذا الجزء يدل على الولاء للكل، وهذا ما يعرف بالمجاز المرسل الذي علاقته الجزئية.

ثالثا: الكناية

تتضح الكناية في متن الخطبة في عدة مواضع، إذ يمكن أن نستشفها من خلال براعة الخطيب في تضمين هذا الفن وفقا لمقتضى الحال، حيث تتجسد بعض مواطنها في قوله: "...أول الناس إسلاما، وأكرمهم أحسابا..."[1]،إذ تتضح الكناية في الجزء الثاني من القول(أكرمهم أحسابا)، حيث يورد الخطيب من خلاله معنيين أحدهما حقيقي والآخر مجازي، أما الحقيقي فيمكن حصره في أن المهاجرين من أفضل الأجناس العربية، في حين أن المعنى المجازي يرمي إلى الدلالة على الرفعة في مكانة هذه الفئة، حيث يهدف الخطيب إلى توضيح مكانة المهاجرين، الذين يتميزون بنسب رفيع إذا ما ربطنا انتمائهم بقريش أشرف القبائل.

وقد جاء بهذه الصفة(الرفعة في النسب) ليربطها بالموصوف(المهاجرين) فلم يصرح بها وإنما دل عليها، وهذا ما نستشفه من سياق الكلام.

وتكمن بلاغة الكناية في هذا المقام في قرة الخطيب على ربط الحقائق بدليلها، ذلك أن المهاجرون يتميزون بالحسب والنسب الرفيع وهذا ما يجعلهم أفضل الأجناس ويعطيهم مكانة متميزة، باعتبار انتمائهم لأفضل القبائل قريش.

1-المصدر السابق، ص63.

أما الكناية في موضع آخر فتتجسد في قول الخطيب: "...أحسنهم وجوها..."[1]، وهو نفس حال الكناية السابقة ، إذ يتضح ذلك من خلال انطوائها على معنيين أحدهما حقيقي والثاني مجازي، ليبرزا على هذا النحو: أما الحقيقي في حسن الوجه وجماله كحقيقة ملموسة، ليكون المجازي رغبة الخطيب في التنويه بحسن الأخلاق الذي يميز المهاجرين، فلم يصرح بها وإنما دل عليها إذ يستشفها المتأمل من سياق الكلام.

ويقصد الخطيب من خلال هذه الكناية أن المهاجرين يتميزون بحسن الخلق، أي أن أخلاقهم رفيعة تعكس شخصيتهم المتعارف عليها في المجتمع، سواء قبل الإسلام أو بعده، حيث تتجلى بلاغة الكناية في استحضار الحقائق مصحوبة بدليلها، ذلك أن جمال الوجه يعتبر حقيقة كنى بها الخطيب على رفعة الأخلاق.

آخر مواضع الكناية في هذا المتن تتضح معالمه في قوله –رضي الله عنه– :

"...وأكثر الناس ولادة في العرب..." [2]، حيث يتضح لنا المعنى الحقيقي من خلال لفعل الولادة، ليكون المعنى المجازي متعلق بكثرة النسل القرشي، وتكمن بلاغة الكناية في هذا المقام في برنة الحقائق، ذلك أن كثرة الولادة تؤدي إلى كثرة النسل وهذا يميز قبيلة قريش.

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 63.

2- المصدر نفسه، ص 63.

رابعا:المحسنات اللفظية

1- السجع:

نلمس ضروب السجع في متن الخطبة في عدة مواضع، إذ نجد الخطيب قد ضمن هذا الفن متنها بغية لفت انتباه المتلقي، دون أن يهمل الاهتمام بتجنب أثار الصنعة اللفظية، ومن النماذج التي كان فيها السجع عناصر الجمال قوله: "...وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها...وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم..."[1]، فنلحظ في الألفاظ التالية: (أكثرهم، أوسطهم، أحسنهم، أمسهم) وقعا موسيقيا، ذلك أن هذه الألفاظ اتفقت في الوزن والقافية وهذا من السجع المرصع الذي يكسب الكلام جرسا موسيقيا يلفت انتباه المتلقي من جهة، ويضفي عليه حسنا وطلاوة من جهة أخرى.

ويستمر الخطيب في إيراد الكلام مسجوعا لشد انتباه المتلقي، وهذا راجع لأهمية الحقائق التي جاء بها، فهو يسجع الكلام ليتأكد من وقعه في ذهن المتلقي، ويتجسد ذلك في قوله: "...أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم..." [2]، حيث نلحظ أن أذن المتلقي تتناغم مع وقع موسيقي تحدثه الألفاظ التالية(أسلمنا، قدمنا)(قبلكم، بعدكم)، إذ نلحظ اتفاق كل زوج منها في الوزن والقافية وفق ما يقتضيه السجع المرصع من شروط، كما هو الشأن في قوله

1-المصدر السابق، ص63.
2- المصدر نفسه، ص63.

– رضي الله عنه– : "...إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء، أنصارنا على العدو..."[1] ، فالألفاظ التالية: (إخواننا، شركاؤنا، أنصارنا) تتفق في الوزن والتقفية لتحدث رنة تلفت انتباه المتلقي، وتميز الخطبة بالحسن والطلاوة.

ومن بواعث السجع المرصع–كذلك– قول الخطيب –رضي الله عنه– : "...آويتم وواسيتم..."[2]،إذ يستشف المتأمل أن اللفظتين جاءتا على وزن واحد وقافية واحدة، كما هو الحال في لفظتي(أمراء، وزراء) اللتين تتضحان من خلال قوله: "...فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء..."[3] ، وهذا ما أكسب الخطبة حلة متناغمة لم يكن غرضها الصنعة، وإنما لفت انتباه المتلقي لتتثبت الحقائق في ذهنه.

ب– الاقتباس:

تنطوي الخطبة على اقتباس من النص القرآني، حيث عمد الخطيب إلى تأييد كلامه بالحجة الدامغة التي لا ضير فيها، وذلك من خلال تضمينه لآية تخدم القضية التي جاء بها، وتتضح في قوله عز وجل: ﴿ **وَالسّابِقونَ الأَوَّلونَ مِنَ المُهاجِرينَ وَالأَنصارِ وَالَّذينَ اتَّبَعوهُم بِإِحسانٍ**﴾[التوبة/100]، فنلحظ من هذا الاقتباس المباشر قدرة الخطيب وحنكته الأدبية التي مكنته من الربط بين كلامه وما اقتبسه من القرآن الكريم، ليخرج القول في حلة

1– المصدر السابق، ص63.

2– المصدر نفسه، ص63.

3– المصدر نفسه، ص63.

تتسم بالجزالة وجودة الرصف وحسن السبك.

خامسا: المحسنات المعنوية

1-الطباق:

تخلو الخطبة من مواطن المطابقة، إذ لم الخطيب إلى وضع ألفاظ متضادة لتوضيح المعاني، واكتفى بإيرادها متواترة يخدم بعضها بعض.

2-اللف والنشر:

لم تنطو الخطبة على ضروب اللف والنشر، إذ إن الخطيب لم يضمن هذا الفن خطبته، فجاءت كل الحقائق موجزة تحمل في طياتها تفاصيل دقيقة.

3- الالتفات:

يتضح أسلوب الالتفات في متن الخطبة من خلال موضعين، أما الموضع الأول فيتجسد في العدول من الغيبة إلى الإخبار، حيث نلمس قدرة الخطيب على الانتقال من الإخبار إلى الخطاب ويتضح ذلك في قوله: "...فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء..."[1]، حيث نستشف انتقال الخطيب من ضمير المتكلم(نحن) الذي يرمي من خلاله الإخبار، إلى ضمير المخاطب(أنتم) الذي يقصد به مخاطبة المتلقي.

ولعل سبب هذا العدول رغبة الخطيب في تأكيد معنى الآية المتجسدة في قوله:

﴿وَالسّابِقونَ الأَوَّلونَ مِنَ المُهاجِرينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذينَ اتَّبَعوهُم بِإِحسانٍ﴾ [التوبة/100]،

1- المصدر السابق، ص 63.

فالآية توضح منزلة كل من المهاجرين والأنصار إذ خصت المهاجرين بالذكر أولا ثم بعدهم ذكرت الأنصار.

ويعمد الخطيب بعد ذكر الآية إلى تأكيد هذه المنزلة بالإخبار تارة، وبالمخاطبة تارة أخرى، دون أن يغفل ما تترتب عنه العلاقة التي تجمع بين الفئتين من مؤاخاة وشراكة في الفيء، ومناصرة على العدو...

ومن مواطن العدول من الغيبة إلى الخطاب –أيضا– ما يتضح في قوله –رضي الله عنه–: "...فنحن الأمراء وأنتم الوزراء..."[1]، حيث نستشف انتقال الخطيب من الغيبة إلى الإخبار باستعمال نفس الضميرين السابقين(نحن، أنتم)، وذلك بغية تأكيد منزلة كل من الفئتين(المهاجرون أمراء، الأنصار وزراء)، حيث ينطوي قوله على رغبة في إعطاء حق الخلافة للمهاجرين، وما جاء بعدها فمن حق الأنصار.

أما الموضع الأخير لأسلوب الالتفات في متن الخطبة فيتضح في العدول من فعل المستقبل إلى فعل الأمر، حيث يتجلى ذلك في قوله –رضي الله عنه– : "...لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله."[2]، إذ نلحظ انتقال الخطيب من الفعل المضارع المنفي باللام(لا تدين العرب) الذي مفاده حصول الولاء وثبوته لقبيلة قريش من طرف كل القبائل، إلى فعل الأمر(فلا تنفسوا) الذي يفيد أمر الخليفة –رضي الله عنه– الأنصار بالعدول عن فعل المنافسة في الخلافة التي من حق المهاجرين،

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص63.

2- المصدر نفسه، ص63.

إذ يجب أن يكون الخليفة بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام من أفضل الأجناس، باعتبار انتماء المهاجرين لقبيلة قريش.

في كل ما سبق يمكننا الجزم بأن بلاغة الصديق – رضي الله عنه– بعيدة كل البعد عن التشدق والتصنع، حيث إنه أجاد إخراج القول وسبكه وفقا لمقتضى الحال، إذ نستشف قدرته في تنويع الأساليب من خلال اعتماده الإطناب تارة، والإيجاز تارة أخرى وكذلك التنويع في الأساليب الخبرية والإنشائية، واعتماد السجع لغرض لفت انتباه المتلقي دون صنعة...، وكل هذا إنما عفو خاطر إذ إن بلاغته وفصاحته ما هي إلا ملكة عرف بها.


الخاتمة

إلى هنا يكون البحث قد استوفى كل فصوله، بعد أن مكننا من الولوج إلى عالم النص الخطابي المتأثر بالأسلوب القرآن والحديث النبوي الشريف، والذي يمكن وصفه بأنه في أوج لحظات نضجه.

وقد تمكنا- بعون الله- من معالجة أهم النصوص النثرية التي ترتبط بأحد أهم الشخصيات التاريخية في تاريخ الإسلام(أبي بكر الصديق رضي الله عنه)، معالجة لا ترتقي إلى مستوى مكامن البلاغة التي تبرز بين الأسطر إذ ما تمعن الباحث في متن الخطبتين، ذلك أنه وحسب رأينا يحتاج النثر إلى استئناف خاصة في مجال الخطابة، يرفع الستار من خلاله عن حيثيات التشكل الخطابي عند بعض الخطباء المغمورين، لنخلص إلى جملة من النتائج نعرضها على النحو التالي:

أولا: تضمن الجانب الموضوعي للخطبتين نفس الأبعاد، وإن كان يطبعها بعض الاختلاف.

ثانيا: لعب الموضوع دورا مهما في توجيه ألفاظ ومعاني الخطبتين، كما أن الحالة النفسية كان لها نفس الدور في هذا التوجيه.

ثالثا: دراسة ألفاظ الخطبتين مكنتنا من كشف مدى جنوحها إلى اللفظ السهل واضح الغاية، إذ يمكن اعتباره وعاء دقيقا حصن المعاني فأداها على أتم وجه، ليصبح هذا الزوج (اللفظ والمعنى) جزء من شخصية الخطيب ينصاع لما يعتريه من تغيرات في الحالة النفسية.

رابعا: قدرة الخطيب البلاغية مكنته من بعث الحقائق دون أن يطبعها تكرار معيب.

خامسا: تميزت الخطبتان بجودة التركيب، إذ يزخر متنهما بالأساليب المتنوعة رغم أنهما تحاكيان نفس الموضوع.

سادسا: تباينت الصورة الفنية في متن الخطبتين بين الحضور والغياب، حيث لعبت فصاحة الخطيب وبلاغته دورا مهما في إبعاد متنهما عن بواعث التصنع والتشدق، ذلك أن كل ما جاء به كان عفو خاطر ينم عن حنكته الأدبية.

وختاما نضع هذا البحث المتواضع بين أيدي الباحثين، علهم يستكملون مسار هذه الدراسة لما تنطوي عليه من مكامن بلاغية غزيرة المنفذ، ولعل هذا البحث ينطوي على اعوجاج فيقومونه، أو نقص فيتممونه، لأننا لا ندعي الكمال لهذا البحث بل يمكننا القول أنه مجرد محاولة جادة نهدف من خلالها إلى إثراء الدراسات الأدبية على مستوى الجامعة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

ببيلوغرافيا المصادر والمراجع:

1- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تع جمعة حسين، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط01، 1426هـ، 2005م.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور الزاهرة العصر الجاهلي عصر صدر الإسلام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط01، 1352هـ، 1923م.

3- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح يوسف الصملي، المكتبة العصرية، ط01، 1999م.

4- أنور ماجد عشقي، خلافة أبي بكر الصديق في فكر ابن تيمية السياسي، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط01، 1419هـ، 1998م.

5- جبور عبد النور، المعجم العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط02، يناير 1984م.

6- الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط07، 1417هـ، 1997م،ج03.

7- الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1385هـ،1965م، ج03.

8- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم -، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، دت.

9- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1404هـ، 1983م، ج01.

10- الزمخشري، أساس البلاغة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط01، 1965م.

11- سالم المعوش، القواعد المعرفية الإسلامية في أدب صدر الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط01، 1422هـ، 2001م.

12- سامي عبابنة، التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، جدار للكتاب العلمي، عمان، الأردن، ط01، 2007م.

13- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي-، دار المعارف، القاهرة، ط24، دت، ج01.

14- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي-، دار المعارف، القاهرة، ط20، دت، ج02.

15- صلاح الدين الهادي، الأدب في عصر النبوة الراشدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط03، 1403هـ، 1987م.

16- عباس محمود العقاد، موسوعة العبقريات الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط01، ربيع الأول 1391هـ، ماي 1971م، مج02.

17- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت.

18- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، 1405هـ،1985م.

19- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت.

20- علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان المعاني والبديع، دار المعارف، دط، 1998م.

21- علي محمد محمد الصلابي، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق – شخصيته وعصره- ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 1423ه، 2002م.

22- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط05، 2004م.

23- قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب، بيروت، لبنان، دط، 1400ه،1980م.

24- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

25- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تع عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط04، دت.

26- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن السلامة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط02، 1999م، مج04.

27- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط02، 1984م.

28- محمد أحمد القاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط01، 2003م.

29- محمد سهيل طقوس، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفاس، بيروت، لبنان، ط02، 1432هـ،2011م.

30- مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 2002م.

31- معروف الرصافي، نفح الطيب في الخطابة والخطيب، دار الخلافة العلمية، ط01، 1332هـ، 1917م.

32- عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية، في عصر صدر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، ط03، 1984م.

33- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط03، 2004، مج 04،05، 11،12.

34- نبيل راغب، موسوعة الإبداع الأدبي، الشركة المصرية لونجمان، القاهرة، ط1995،01م.

35- أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2008.

الفهرس

الفهرس